الجزء الرابع

موسوعة الدين المقارن

د. نبيل فياض




تليجرام
مكتبة سور الأزبكية

موسوعة الدين المقارن
الجزء الرابع

د. نبيل فياض

موسوعة الدين المقارن

الجزء الرابع

الليبرالية 2020

المحتوى

لم يكن ثمّة خروج من مصر، يشوع بن نون لم يهدم أسوار أريحا،
ومملكة سليمان لم تكن أكثر من جماعة قبليّة صغيرة.

الباحث الأركيولوجي الإسرائيلي: زئيف هرتسوغ.

مدخل:

ليس من السهل الكتابة في موضوع شيّق/ شائك كقصّة إبراهيم بين النصوص المقدّسة والتاريخيّة، التي كثيراً ما قاربها الباحثون من الشرق والغرب. لكن الصعب هو الدخول في مقاربة كهذه في مجتمع أمي ثقافياً، إلا ما ندر، لا علاقة له فعليّة بعلوم هامّة للغاية اليوم، كالنقديّة الكتابيّة واللغات المقارنة والدين المقارن واللاهوت وغيرها. أمّا الأصعب فهو الغوص في أعماق اليهوديّة في هذا المجتمع الذي يجهل _ ويعادي _ الأبجديّة المعرفيّة للعبرانيين من جهة، ويمشي مغمض العينين في درب الأصوليّة الدينيّة المعادية للسببيّة والصيرورة على حدّ سواء، من جهة أخرى. ونحن في هذا الكتاب لتلك الأسباب بالذات، تعمدّنا الخيارات المفتوحة: بمعنى أننا لا نقسر القارئ على تبنّي ما نعتقد شخصياً به، بل نترك له الحكم بعد الدراسة غير السريعة.

الجزء الأوّل من هذه الدراسة غير المطوّلة هو نوع من النقديّة الكتابيّة لقصّة إبراهيم كما وردت في التوراة (أسفار العهد القديم أو التاناخ باللغة العبريّة الأولى) بالاعتماد على مصادر يضيق المجال لحصرها؛ أمّا الجزء الثاني فهو ترجمة بالحدّ الأدنى من التصرّف للجزء المتعلّق بإبراهيم في كتاب الباحث الألماني، هاينريش شباير، «الحكايا الكتابيّة في القرآن». وكما قلنا في كتابنا «محمّد»، نقلاً عن أحد الباحثين الغربيين، فقد كان نبيّ الإسلام ينظر إلى التوراة بعيون الهاغاداه. وقصّة إبراهيم القرآنيّة تثبت ذلك بالمطلق.

لقد آثرنا أن لا نفسّر كل ما ورد في هذا العمل من مصطلحات غير عربيّة حرصاً منا على بذل القارئ شيء من الجهد الذاتي لفهم ما استعصي عليه إدراكه.

مقدمة:

إذا كان اللاهوتيون و الأركيولوجيّون متفقين عموماً على أن الأصحاحات الأولى من سفر التكوين ذات صيغة ميثولوجيّة فحسب، فقصص الخليقة والطوفان، كما هو مثبت من الموازيات الميثولوجيّة السوريّة من خارج التوراة ليست أكثر من تنويعة عبرانية على أساطير بابل و آشور وأوغاريت وغيرها، فإن قصص الآباء، أي أبراهام _أو إبراهيم_ وسلالته ما تزال تجد من يدافع عن بذرة تاريخيّة لتفاصيلها الميثولوجيّة البحتة. بكلمات أخرى، نجدهم يقولون، إنها أسطرة تاريخ لا تاريخ أساطير، بل إن هنالك بين المسيحيين الليبراليين من يدافع عن شيء من الصحة التاريخيّة لأساطير من هذا النوع، ويرتكز هؤلاء بشكل خاص على أحداث أو أماكن أو أشخاص توحي للوهلة الأولى أنها تاريخيّة، لكننا في بحثنا التالي سوف نحاول أن نثبت أنها حتى الآن لا تعدو كونها أساطير ألبست الصبغة التاريخيّة لأهداف كثيرة، أهمها خلق ماض ما للشعب العبراني في دعاويه القوميّة. ورغم أننا شخصياً من أنصار دعاة الحدّ الأدنى لاهوتيّاً، أي أولئك الذين يرفضون مقاربة التوراة من منظور تاريخي لأنها ليست كذلك، خاصّة أعمال الباحث الدنماركي الهام توماس تومبسون؛ وأركيولوجيّاً من أنصار تيار ما بعد اليهوديّة، الذي مشى لفترة يداً بيد مع تيار ما بعد الصهيونيّة في إسرائيل، خاصّة الباحث البارز يسرائيل فنكلستين، فنحن لا ندعو إلى نهاية مقفلة في مقاربة التوراة نقديّاً، لأن أي اكتشاف جديد كقمران، يمكن أن يعيد المسالة برمتها إلى نقطة البداية، كما قال يغال يادين ذات يوم.

لقد أقرّ الباحثون منذ زمن طويل أنّ قصّة أبراهام لا تشكل وحدة متماسكة، لكنها تجميع لأعمال أكثر من مؤلف. والتحليل الأدبي للتوراة، الذي وضع أسسه يوليوس فلهاوزن وآخرون غيره في القرن التاسع عشر، تقرّ

بوجود ثلاثة تقاليد مستقلة للقصّة. يعود تاريخ أقدم هذه التقاليد، المعروف باليهووي _ اسم الإله فيه يهوه _ إلى ما يفترض أنه زمن المملكة المتحدة (950 ق. م. تقريباً) ويصوّر بأنه يستخدم تقليد أبراهام لدعم مزاعم الإمبراطوريّة الداوودية. أمّا التقليد الإيلوهيمي _ اسم الإله فيه إيلوهيم _ الموجود في سفر التكوين 20-22، فيرجع بحسب مدرسة فلهاوزن أيضاً إلى ما يسمى بزمن الأنبياء (القرن الثامن ق.م. تقريباً). من ناحية أخرى، فالمصدر الكهنوتي هو من حقبة ما بعد السبي (400 ق. م. تقريباً)، ويمكن أن نجده في آيات من تكوين 17 و 23 وفي مقاطع كرونولوجيّة أخرى. مع ذلك، فالنقديّة الكتابيّة المصدريّة عرفت تطوّراً متلاحقاً حيث احتدم الجدل حول دقة التواريخ المعطاة للتقاليد آنفة الذكر، كما أنّ العلاقة بين تقليد و آخر بدأت تفهم على نحو مختلف. من هنا، فإن بعضاً من القصص اليهوويّة الأولى وما يسمّى بالتقليد الإيلوهيمي قد تمّ استخدامها من قبل المؤلّف اليهووي إضافة إلى مادته الخاصّة لتشكيل قصّة أبراهام الكتابيّة باعتبارها تقليداً قومياً بارزاً في حقبة السبي، وكاتب النصّ الكهنوتي قام ببعض الإضافات في حقبة ما بعد السبي، في حين أن قصّة ملوك الشرق، التي سنتناولها بشيء من التفصيل لاحقاً، والتي ترد في تكوين 14، هي الإضافة الأخيرة والتي ترجع إلى الزمن الهلنستي.

من هنا يمكن أن نفهم كون السمة الأساسيّة للتقليد الأبراهامي هي احتواؤه عدداً من القصص القصيرة والتي ينقصها الترابط لتكوين رواية مستمرّة، وهذا يدعم الرأي القائل إنها تعكس مرحلة تقليد شفوي قبل أن تجمع في عمل أدبي، بل أكثر من ذلك، فالواقع القائل إن عدداً من القصص يظهر مزدوج الرواية يوحي بأن التنويعات على التقليد وجدت طريقها إلى

مصادر أدبيّة مختلفة. لكن الروايات الإزدواجيّة هي تعديلات أدبيّة تمّ تأليفها بحرص فعلاً القصد منها تقديم وجهة نظر المؤلف واهتماماته الدينيّة.

أمثلة توضيحيّة:

هنالك قصّتان تتناولان مسألة كيف يقدّم أبراهام زوجه على أنها أخته ليحمي نفسه في بلد غريب، الأولى (تك 12: 10-20) لا تعدو كونها ببساطة حكاية فولكلوريّة مسليّة حيث يظهر أبراهام كرجل يخدع المصريين ويعود منهم بزوجه وبالثروة، النسخة الثانية للرواية تحاول تنقية أبراهام من أية شوائب أخلاقيّة (تك 20). مع ذلك، ثمة نسخة ثالثة من الرواية نجدها في تقليد اسحق (26: 1-11)، والتي تستخدم عناصر من النسختين الأقدم، مع التركيز هنا على هداية الله ومعونته.

رواية هروب هاجر (الفصل 16) وطردها لاحقاً مع إسماعيل (21: 8-21) هي أيضاً إزدواجيّة. الأولى هي إيتيولوجيا إثنيّة ذات علاقة بأصل الإسماعيليين وطبيعتهم، أما الثانية فتنحصر في تحويل هذه المقولة إلى سمة لوعد إلهي لأبراهام، كون إسماعيل من نسله أيضاً. نلاحظ، بالمناسبة، أن النسخة السبعينيّة من التوراة تضيف على النص العبراني مقولة إن سارة كانت حزينة حين رأت إسماعيل «يلعب مع ابنها إسحق».

قبل الدخول في مقاربة نقد_كتابيّة لنصّ إبراهيم في سفر التكوين، نجد من المفيد تقديم جدول يركّز، بطريقة منظّمة، على المراحل الأهم في حياة إبراهيم المفترضة، كما تظهر لنا في سفر التكوين، الأمر الذي يساعد في تنظيم آلية الدين المقارن حين سننتقل من التوراة إلى القرآن:

ملخّص جدول حياة أبراهام وتوقيتها المفترض:

التاريخ المفترض	الحدث	العمر	تفاصيل الحوادث
2166	ولادة أبرام	0-75	ولادة أبرام في أور الكلدانيين، زواجه من ساراي وهجرته إلى حرّان مع ابن أخيه لوط وأبيه تارح. تارح يموت في حرّان (تك 11).
2091	ترك أبرام حرّان/ وصوله إلى كنعان		الربّ يأمر أبرام بمغادرة حرّان والرحيل إلى كنعان. عند وصوله هناك يمضي حتى وسط البلاد في شكيم حيث يوعد أن الأرض كلّها ستكون له. من شكيم يذهب إلى بيت إيل حيث يبني مذبحاً ثانياً. بسبب المجاعة يأخذ عائلته وينزل باتجاه مصر. يخدع أبرام فرعون بزعمه أن زوجه هي أخته ونتيجة لذلك يثري أبرام. حين تكتشف اللعبة يبعد فرعون أبرام (تك 12). يعود أبرام إلى كنعان متنقلاً من النقب في الجنوب إلى بيت إيل. هناك يفترق أبرام عن لوط، فيتحرّك لوط مع قطعانه إلى وادي الأردن في حين يظلّ أبرام في منطقة الهضاب. بعد رحيل لوط يجدّد الربّ وعده لأبرام بالأرض وينقل أبرام خيّمه إلى الخليل حيث يبني مذبحاً ثالثاً (تك 13). أمّا لوط، الذي ينتقل إلى سدوم، فتأسره قوى لملوك أربعة غزاة وترحل به. يجمع أبرام عائلته وبعض حلفائه المحليين ويطارد الملوك الغزاة الأربعة ويسترد لوطاً منهم. عند عودته يلتقي ملكيصادق، ملك شليم، الذي يباركه باسم الله العليّ. يقبل إبرام البركة ويعطي ملكيصادق عشر ما بحوزته. بعد ذلك بفترة قصيرة يأتي ملك سدوم لتحيّة أبرام، لكن أبرام يرفض أن يأخذ شيئاً مما يعطيه إياه ملك سدوم (تك 14). يعهد الربّ تأكيده لأبرام بأن وعوده التي قطعها له سوف تنجز عبر طقس عهد (تك 15).

بعد ولادة إسحق تطرد سارة هاجر وإسماعيل. يعد الربّ أبراهام أنه سيهتم بها وسيجعل من إسماعيل أمة كبيرة. يلتقي أبراهام وأبيملك ويتوصّلان إلى حلّ لنزاع بين الاثنين على بئر ماء كان رجال أبيملك قد وضعوا أيديهم عليها ويختم الرجلان اتفاقهما بعهد (تك 21). يختبر الرب أبراهام عبر أمره بأن يضحّي بابنه على جبل موريا. يطيع أبراهام الأمر وفي اللحظة الأخيرة يتدخل الربّ مقدّماً قربانه الخاص بدل إسحاق. ورداً على طاعة أبراهام وإيمانه يكرّر الربّ وعده المتعلق بالعدد الكبير من الذين سيأتون من صلبه (تك 22).	100-137	ولادة إسحاق	2066
تموت سارة وعمرها 127 عاماً ويشتري لها أبراهام مقبرة من عفرون الحثي (تك 24). يرسل أبراهام أحد خدمه ليأتي بإحدى قريباته من منطقة شمال غرب ما بين النهرين لأنه لم يكن راغباً بالسماح لابنه بالزواج من امرأة كنعانية. يقود الربّ خطى الخادم الذي يرجع برفقة، ابنة بتوئيل، ابن ملكة التي كانت زوجة ناحور، شقيق أبراهام (تك 24).	137-140	موت سارة	2029
يأخذ أبراهام امرأة أخرى، هي قطّورة، التي تنجب له ستة أبناء آخرين: زمران، يقشان، مدان، مدين، يشباق وشوحا (تك 25).	140-160	إسحاق يتزوج رفقة	2026
	160-175	ولادة يعقوب وعيسو	2006
يموت أبراهام ويدفن في مغارة المكفيلة (تك 25).		موت أبراهام	1991

بعد هذا الجدول الافتراضي، يمكننا التوقف الآن مع بعض المداخل النقد_كتابيّة المبسّطة، خاصّة وأننا موجودون في مكان _ كما أشرنا _ حيث العلوم اللاهوتيّة، خاصّة النقديّة الكتابية، مثلها أيضاً علوم اللغات القديمة والأركيولوجيا، في أدنى مراحلها معرفيّاً!

اسم أبراهام

حتى الآن لا توجد أدنى إشارة إلى أبراهام التوراتي في أي مما تمّ اكتشافه من آثار في المنطقة المحيطة بفلسطين. وعلى الرغم من اكتشاف أرشيفات ضخمة، فإن الفجوات في معارفنا ما تزال هائلة. ومن غير المفاجئ أن الإشارات إلى مجموعة عائليّة بعينها، على الرغم من وجود مجموعة كبيرة الحجم، فشلت في أن تستمر. مع ذلك فإن تنويعة على أبراهام، هي «أبوراهانا»، ترد في نصوص مصريّة من القرن التاسع عشر ق. م. بقي أن نشير، بالمناسبة، إلى أن اسم إبراهيم القرآني يظهر كإبرهيم أحياناً وإبراهيم أحياناً أخرى.

أبراهام كمقيم في المدينة

لا يخبرنا الكتاب المقدّس بأي شيء عن حياة أبراهام قبل دخوله أرض كنعان. فسفر التكوين (11: 28) يقول إن أبراهام ولد في أور الكلدانيين، وهي مدينة سومريّة هامّة. لكن الإشارة إلى «الكلدانيين» هي على الأرجح خاطئة لان الكلدانيين لم يحطّوا الرحال في آشوريا قبل عام 1000 ق. م. ومن أور، يفترض أن تارح قاد عائلته شمالاً إلى حرّان (11: 31) حيث استقرّوا لفترة من الوقت. ومع أن النصّ لا يذكر سوى تارح وأبرام وساري ولوط فمن المفترض ضمناً أن ناحور وملكة انتقلوا إلى الشمال (قارن من سفر

التكوين: 22: 20 -24؛ 24: 10). كانت حرّان مركز قوافل هام للهجرات العمّوريّة، لكن ما من دليل من النص الكتابي يخبرنا ما إذا كان تارح وأسرته قد استقرّوا في أي من المدن التي يفترض أنهم عاشوا فيها في بيوت أم في خيام، مع ذلك فالنص يوحي أنهم عاشوا في بيوت. في موضع آخر من سفر التكوين يقال إن عائلة رفقة كانت تسكن المدينة (24: 10) في أحد المنازل (24: 23)، وذلك بالمقارنة مع عائلة أبراهام التي يفترض أنئذ أنها كانت تسكن في الخيام (24: 67). ولا شكّ أن الرحلة المفترضة من حرّان إلى كنعان أحدثت تبديلاً مدهشاً في نمط حياة أبراهام وعائلته.

البدوي قاطن الخيام

منذ أن غادر أبراهام حرّان و هو يقطن الخيام (قارن مثلاً: سفر العبرانيين 11: 9)، متنقلاً من مكان إلى مكان ويرفقته قطعانه (12: 6؛ 13: 3- 5). بعد عودته من مصر وانفصاله عن لوط يفترض أن أبراهام أمضى كثيراً من وقته في كنعان مخيّماً قرب بلوط ممرا في الخليل (13: 18؛ 18: 1)، وذلك قبل أن ينتقل إلى منطقة الفلسطينيين (20: 1؛ 21: 34). في الخليل يقيم أبراهام تحالفات مع قادة عموريين محليين (14 : 13، 21) ويتولّى قيادتهم في عمليّة إنقاذ لوط (14: 24)، كان جيرانه يجلّونه كثيراً (23: 5)، مع أنه كان يعتبر نفسه على الدوام قاطناً غريباً (23 : 4؛ قارن: عب: 11: 9). كان أبراهام يعتبر رجلاً مادياً (قارن 12 : 5)، ويقال إنه بعد أن نزل إلى مصر لم يغادر البلد إلا بعد أن صار غنياً (12: 16). حين استدعى الأمر استطاع جمع 318 رجلاً متدرّبين على خوض المعارك (14: 14)، هذا يعني أن العدد المفترض لأسرته لابدّ أنه كان على الأقل ضعف هذا الرقم. وفي مرحلة لاحقة، حين تعامل أبراهام مع أبيملك ملك جرار، نرى أن أبراهام يُنظر إليه

على أنهِ مساوٍ في المكانة لأبيملك، وذلك حسبما توحي به المعاهدة التي وقعاها (21: 22 - 31).

نقد المراسي التاريخيّة

إنّ أكثر ما يلفت النظر في قصص الآباء هو استخدامها «المراس» ذات أبعاد تاريخيّة حقيقيّة في نصوص أبعد ما تكون عن التاريخ. الأمر الذي قد يوحي أن هذه القصص تاريخيّة. لكن التوغل القليل، وربما شبه السطحي، في هذه القصص، يكشف بسهولة أن المراسي التاريخيّة لم تستعمل من قبل محرري التوراة إلا بهدف الإيحاء بصدقيّة ما يكتبون أو يحرّرون.

من أهم العناصر في قصص الآباء، التي تبدو للوهلة الأولى تاريخيّة، الإشارة إلى الجمال المدّجنة أو إلى الشعوب الفعليّة التي كانت تقطن في المنطقة أو إلى بعض المدن المثبتة تاريخيّاً أو حتى الإشارات إلى طرق القوافل. وكما أشرنا، فإنّ مؤلفي التوراة أو محرّريها ارتأوا إقحام تلك العناصر التاريخيّة في أساطيرهم لإخراج تلك الأساطير من الخانة الميثولوجيّة إلى خانة الحدث الواقعي. وفي اعتقادنا الذي وقفنا عنده مراراً أن نصوصاً كثيرة في التكوين وغيره، من التي نُظر إليها لزمن طويل على أنها وقائع لا يرقى الشكّ إليها، هي الآن لا تخرج بحثيّاً عن دائرة الأساطير: كقصص خلق العالم والعائلة البشريّة الأولى والطوفان وما شابه؛ فما الذي يبعث على الدهشة حين تصل بحوثنا إلى أن هذا السفر، التكوين، برمته، لا يخرج عن كونه ميثولوجيا مؤرّخة؟

نقد المرساة الأولى: شكل حياة أبراهام الفجوة الكبيرة بين حياة النبي والرواية المكتوبة[1]

نحن بحاجة أولاً لأن يكون بحوزتنا تاريخ دقيق لأقدم المصادر الممكنة المتعلقة بالشخصيات المذكورة في التوراة. يتضح من التوراة أن موسى لا يمكن أن يكون مؤلف كلّ أسفار الكتاب المقدس العبراني الخمسة الأولى كما تدّعي اليهوديّة التقليديّة، أقله أن نصّ موت موسى لا يمكن أن يكون قد كتبه النبي المفترض؛ والواقع أن هذه الأسفار كتبت بعد موسى المفترض بزمن طويل. وثمة آية تكشف لنا التاريخ الأقدم الممكن لتوليف النص:

تك 26: 31

«وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم، قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل».

يتضح من الآية السابقة أن المؤلف كان يكتب حين كان للإسرائيليين ملك على الأقل. لكننا نعرف أن أول ملك مفترض للإسرائيليين كان شاؤول، الذي أضحى ملكاً عام 1025 ق. م. تقريباً. وهكذا فإن أقدم تاريخ ممكن لتوليف التوراة، أو أجزاء منها، هو القرن العاشر ق. م. يختلف الباحثون في تقديراتهم للتاريخ الدقيق لكتابة القسم الأقدم (المسمّى الوثيقة «اليهوويّة») من الوثائق المصدريّة لهذه الأسفار. يرى بعضهم أن الوثيقة

[1] منذ بداية الدراسة النقديّة للعهد القديم كان التعامل مع قصص الآباء لا يخلو من الشكوكيّة، فقد برهن يوليوس فلهاوزن (1844 - 1918) أن تلك القصص خُلقت في زمن المملكة _ إن جاز التعبير _ وهي بالتالي لا تمتلك أي أساس تاريخي. ويبدو أن عمله الشهير هو الذي أسس لجو البحث في العهد القديم لمن جاء بعده. وحتى اليوم ما يزال كثيرون يجادلون بأن الألف الأولى ق. م. هي أصل تلك القصص.

وهكذا فباستثناء ذكريات اجتماعيّة نادرة للغاية لحوادث هامة أو نقط تحوّل في تاريخ هذا الشعب، علينا تجاهل كل ما تبقى بوصفه أساطير حظيت بالصدقيّة عبر قرون من التناقل الشفوي. كان لا بدّ أن نلاحظ هنا أننا لا نتجاهل كل الباقي باعتباره أساطير من دون أي دليل. فالواقع أننا في حالات كثيرة حيث تتم الإشارة إلى حوادث أو أشياء يمكن التحقق منها تاريخيّاً، نجد أن القصص في الكتاب المقدّس العبراني إما مزيّفة أو مشوشة.

نقد المرساة الثانية: الجمال المدجنة

في مثالنا الأول، نلاحظ أن هنالك إشارتين إلى الجمال المدجنة في قصة أبراهام:

تك 12: 14 – 16

ولمّا دخل أبرام مصر، رأى المصريون أن المرأة جميلةٌ جداً، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأُخِذت المرأة إلى بيته، فأحسَن إلى أبرام بسببها فصار له غنم وبقر وحمير وخدّام وخادمات وحمائر وجمال.

تك 24: 10 – 11

وأخذ الخادم عشرة جمال من جمال سيّده ومضى، وفي يده من خيرات سيّده كلّها، وقام ومضى إلى آرام النهرين، إلى مدينة ناحور. فأناخ الجمال خارج المدينة، بالقرب من بئر الماء، عند المساء، وقت خروج المسقيات.

كما لاحظنا من قبل، فالتخمينات المتعلقة بتاريخ وجود أبراهام تتراوح بين القرن الخامس والعشرين ق. م. والسادس عشر ق. م. والنص السابق يوحي ضمناً أن الجمل كان مدجنا بل كان قيد الاستعمال في ذلك الوقت. لكن باعتمادنا على أدلة أخرى بين أيدينا، فالجمال المدجنة ببساطة لم تكن معروفة أيام أبراهام والنصوص المصرية من تلك الحقبة لا تذكر شيئا

عنهم بل حتى في ماري، المملكة المجاورة للصحراء، والتي ستبدو الأكثر حاجة لاستخدام الجمال، فإن مجموعة وثائقها الضخمة التي هي الآن بين أيدي الأركيولوجيين، لا تذكر مرة واحدة الجمال في ما يفترض أنه كتابات من حقبة معاصرة لأبراهام.

بالمقابل، فالواقع يقول إن الإشارات إلى الجمال لم تبدأ في الظهور في النصوص والنقوش المسمارية إلا في القرن الحادي عشر ق. م. وبعد هذا التاريخ راحت الإشارات إلى الجمال تتزايد على نحو ملحوظ. هذا يعني ضمناً أن تدجين الجمال بدأ حوالي القرن الثاني عشر ق. م. أو قبله بقرن.

إذن، لا يمكن أن تكون هنالك جمال مدجّنة حين كان أبراهام على قيد الحياة، ولابدّ بالتالي أن القصص السابقة إضافات متأخرة على أسطورة أبراهام.

نقد المرساة الثالثة: رواية الملوك الأربعة

إن المادة المحتواة في الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين هي الجزء الأكثر إثارة للجدل من أركيولوجيا الآباء.

14: 1 وحدث في أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك الاسار وكدرلعومر ملك عيلام و تدعال ملك جوييم.

14: 2 أن هؤلاء صنعوا حرباً مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشناب ملك أدمة و شمئيبر ملك صبوييم و ملك بالع التي هي صوغر.

14: 3 جميع هؤلاء اجتمعوا مُتعاهدين إلى عُمق السّدّيم الذي هو بحر الملح.

14: 4 اثنتي عشرة سنةً استعْبِدوا لكدرلعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه.

14: 5 و في السنة الرابعة عشرة أتى كدرلعومر و الملوك الذين معه وضربوا الرّفائيّين في عشتاروث قرنايم والزّوزيّين في هام والإيميّين في شوى قريتايم.

14: 6 والحوريّين في جبلهم سعير إلى بطمة فاران التي عند البرّيّة.

14: 7 ثم رجعوا و جاءوا إلى عين مشفاط التي هي قادش وضربوا كلّ بلاد العمالقة وأيضاً الأموريّين السّاكنين في حصّون تامار.

14: 8 فخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوييم وملك بالع التي هي صوغر ونظموا حرباً معهم في عمق السّدّيم.

14: 9 مع كدرلعومر ملك عيلام وتدعال ملك جوييم وأمرافل ملك شعار وأريوك ملك ألاسار. أربعة ملوكٍ مع خمسةٍ.

14: 10 وعمق السّدّيم كان فيه آبار حمر كثيرة. فهرب ملكا سدوم وعمورة وسقطا هناك والباقون هربوا إلى الجبل.

14: 11 فأخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة وجميع أطعمتهم ومضوا.

14: 12 وأخذوا لوطا ابن أخي أبرام و أملاكه ومضوا، إذ كان ساكناً في سدوم.

14: 13 فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني. وكان ساكناً عند بلّوطات ممرا الأموريّ، أخي أشكول وأخي عانر. و كانوا أصحاب عهد مع أبرام.

14: 14 فلما سمع أبرام أن أخاه سُبي جرّ غلمانه المتمرّنين ولدان بيته ثلاث مئة و ثمانية عشر وتبعهم إلى دان.

14: 15 و انقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسّرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق.

14: 16 واسترجع كلّ الأملاك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً، وأملاكه والنّساء أيضاً والشّعب.

إن ذكر شخصيّات وحوادث كثيرة في المقطع السابق والتي كنا نتوقع أن تظهر في روايات أخرى من خارج الكتاب المقدس جعلت من هذا المقطع محط اهتمام خاص، والعديد من الباحثين ينظرون إلى هذه الرواية على أنها من زمن متأخر ولا أساس تاريخي لها؛ وفي بداية القرن العشرين تمت محاولات لتحديد هوية الملوك الأربعة (أشهر تلك المحاولات المطابقة بين أمرافل وحمورابي، ملك بابل) رفضت الآن عموما على أسس فيلولوجيّة وتاريخيّة.

من جهة أخرى، فرواية الملوك الأربعة لا علاقة لها بأي مصدر من مصادر سفر التكوين؛ وبرأي اليسوعيين، في هوامشهم على القصة في النص العربي، أنها مأخوذة عن وثيقة قديمة نقحت وكيّفت لإبراز دور أبراهام البطولي في الحرب. وكنا قد أشرنا، أثناء حديثنا عن فلهاوزن، إلى أن هذا النص مضاف من الزمن الهلنستي.

وحتى لو سلّمنا جدلاً بوجود الملوك الأربعة الذين يتحدّث عنهم التكوين، فإن ما من دليل على الإطلاق يشير إلى تحالف هؤلاء الملوك الأربعة ضد أبراهام المزعوم، هذا إذا كانوا متزامنين أصلا. كذلك لا يعقل أن يهزم أبراهام، بجيشه المكون من 318 شخصا، كما يقول التكوين، جيوش ملوك أربعة قد يصل تعداد مقاتليها إلى عشرات آلاف البشر!

نقد المرساة الرابعة الختان:

سوف نتناول الآن مسألة عرف الختان، الواردة في قصّة أبراهام، من سفر التكوين:

تك 17: 9 - 11

وقال الله لإبراهيم: وأنت فاحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن كلّ ذكر منكم. فتختنون في لحم قلفتكم، ويكون ذلك علامة عهد بيني وبينكم.

هذه حتماً إضافة أخرى متأخرة لأسطورة أبراهام. فنحن نعرف أن الختان كان يمارس على نطاق واسع في العصور القديمة في بلاد الهلال الخصيب؛ والمصريون والكنعانيون، أي الشعبان اللذان يفترض أنهما الأكثر احتكاكا مع أبراهام، كانوا يمارسون هذا الطقس. من هنا فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن " للختان " أن يكون علامة العهد بين الله و أبراهام إذا كان الجميع يمارسونه ؟ فقط أثناء السبي البابلي، أي القرن السادس ق. م.، كان باستطاعة هذا العرف أن يميّز بين اليهود وغير اليهود: فالبابليون لم يكونوا يمارسونها هذه الشعيرة. إذن فقصة الختان كعلامة للعهد بين الله وأبراهام هي أيضاً ميثولوجيّة.

نقد المرساة الخامسة: مدينة جرار الفلسطينية

سوف نناقش هنا الفقرة التالية من سفر التكوين (26: 1)، المتعلقة بإسحق، ابن أبراهام:

وكانت في الأرض مجاعة غير المجاعة الأولى التي كانت في أيام إبراهيم. فمضى إسحق إلى أبيملك، ملك الفلسطينيين في جرار!

نلاحظ الآن أن إسحق ولد كما هو مفترض حين كان أبراهام في عامه المئة (تك 21: 5). وهكذا فالقصص المرويّة آنفاً عن ملك جرار هذا لا بدّ أنها حدثت في مكان ما بين القرنين الرابع و العشرين و الخامس عشر قبل الميلاد، اعتماداً على التاريخ الذي نراه الأنسب لموضعة أبراهام في الزمن. لكن

الأدلة الأركيولوجيّة الواضحة تظهر أن الفلسطينيين لم يستوطنوا الشريط الساحلي حتى بعد القرن الثالث عشر ق. م. وتظهر الكشوفات الأركيولوجيّة في جرار (اسمها الآن تل حرور شمال غرب بئر السبع) أن البلد لم تكن أكثر من قرية صغيرة غير ذات أهمية أثناء الاستيطان الفلسطيني البدئي في العصر الحديدي الأول (1150– 900 ق. م.). ولم تصبح جرار مدينة ذات أهميّة إلا في القرن السابع ق. م. من هنا يمكن القول إنه لم تكن هنالك جرار ولا ملك للفلسطينيين يمكنه أن يلتقي مع إسحق وقبله أبراهام خلال الفترة الزمنية التي يقال إنهما عاشا فيها!

من هنا يمكن أن نصل مع توماس تومبسن، أستاذ العهد القديم في جامعة كوبنهاغن إلى النتيجة التي تقول، إنه إذا أظهر أن هذه الإشارات النوعية في قصص الأباء ليست أكثر من خلط تشويشي، فهي إذن لا تضيف أي شيء للقصص؛ لكن هذه الإشارات بالذات كانت المراسي التاريخيّة التي يفترض أنها هي التي أرست دعائم تلك الحكايا في التاريخ في الموضع الأول. ودونها كيف باستطاعتنا التمييز بين هذه الروايات وأية حكايا فولوكلوريّة ميثولوجيّة صرفة؟

مدخل إلى الرواية القرآنية لقصة إبراهيم

نص شبايرا

. رغم أن مسألة الأسماء غير ذات معنى بالنسبة إلى بحثنا الحالي والبحوث التي سبقته، فنحن نعتقد أن مقاربة القرآن للأسماء العبرانيّة لابد من أخذها بعين الاعتبار في بحث مستقل. خاصّة إذا ما عرفنا أن الترجمة العربيّة للأسماء العبرانيّة يفقدها معناها الميثولوجي بالكامل: مثلاً، في اسمي «يتسحك» [اسحق ويشمع - إيل [اسماعيل] نجد نوعاً من التنافسيّة المبطّنة بين إلهين احتار فيهما العبرانيون طويلاً؛ أي: يهوه وإيل. والترجمة العربيّة للاسمين تفتقد ذلك تماماً.

بالنسبة إلى النسخة القرآنيّة لحكاية إبراهيم [وأبراهام أو أبرام]، فكما لاحظ الباحث اليهودي الهام، غنزبرغ، فالقرآن أقرب إلى الهاغاداه من التوراة بما لا يقارن: إن روايات محوريّة في النسخة القرآنية لا علاقة لها، لا من قريب ولا من بعيد بالنص التوراتي، وتحديداً سفر التكوين؛ بالمقابل، فالتقاطع بين النسخة القرآنية والهاغاداه ملفت إلى درجة الذهول. فتفصيل تقلّب إبراهيم في تأملاته حتى اكتشافه الإله الأوحد، تحطيمه الأوثان، حرق إبراهيم... كل ذلك لا علاقة له بالتكوين ولا بالعهد القديم كلّه. مع ذلك، فنحن لا نمتلك فكرة ولو متواضعة عن الشكل السائد لليهوديّة زمن الإسلام الأوّلي.

حكاية إبراهيم في القرآن: (العرض القرآني)

يتوصّل إبراهيم إلى التعرّف على الله، عندما رأى بزوغ وأفول النجوم والقمر والشمس. فقد رأى نجمة تبزغ، فقال: هذا ربّي! ولمّا أفلت النجمة، صاح ابراهيم: لا أحب ما يأفل! و أيضاً عندما ظهر القمر في السماء، قال: هذا إلهي! ولمّا أفل، قال إبراهيم: حين لا يهديني ربّي سواء السبيل، فسوف أكون من أولئك، الذين هم ضالون. وأخيراً اعتقد عند بزوغ الشمس بأنها إله. لكن ما إن غابت هي أيضاً، حتى صرخ: يا قوم، إني أتبرّأ من آلهتكم وأتحوّل كحنيف إلى خالق السماء والأرض.

حاول ابراهيم، أن يشرح لوالده قصور عبادة الأوثان، وقال له: أنظر، لقد جاءني من العلم ما لم يأتك، فاتبعني، حتى أهديك إلى الصراط المستقيم. أنظر، لا تعبُدِ الشيطان، فالشيطان كان للرحمن عصيّاً. يا أبتِ، إنّي أخاف أن يعذبك الرحمن وأن تصبح وَليّاً للشيطان. فقال والده: أترفض آلهتي، يا إبراهيم؟ اصرف هذا الأمر عنك، وإلّا رجمتك! فقال إبراهيم: سلامٌ عليك، سأستغفرُ لكَ ربّي، إنّه كان بي حَفيّاً. وأعتزلكم، وما تدعونَ من دون الله. سأدعو ربّي، عسى أن أستغفره لكم. سخر إبراهيم من الأوثان بحضور أبيه وقومه، ثم أوضح أن آباء آبائه، إذا كانوا من الذين يعبدون الأوثان، فسوف يوصفون بأنهم ضالّون.

تشاجر قوم إبراهيم معه أيضاً، فقال لهم: لا أخاف، ما تشركون به، إلا أن يشاء ربّي شيئاً. ألا ترغبون أن ينذركم واحد منكم ؟ ولاحقاً يقول إبراهيم لأبيه وقومه: ماذا تعبدون؟ قالوا: نحن نعبد الأوثان، ونحن مخلصون لها. فقال لهم ابراهيم: أيسمعونكم إذا ناديتموهم، أو يستطيعون نفعكم أو ضرّكم؟ قالوا: لا، بل وجدنا أباءنا كذلك يفعلون، قال: ألم تفكروا، بما كنتم تفعلون، أنتم وآباؤكم ؟ إنهم جميعاً أعدائي، إلا ربَّ العالمين، الذي خلقني

فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحين. طلب إبراهيم المغفرة أيضاً عن خطاياه يوم الحساب و«لسان حقيقة» في الأجيال القادمة. كذلك فقد صلّى الله، أن لا يخزي والده يوم الحساب.

ما إن تشاجر إبراهيم مع قومه، حتى صرخ في النجوم، وقال: أنظري، إني سقيم! فتولى أهل بلده عنه مدبرين. فراغ إلى آلهتهم، فقال: ألا تأكلون، وماذا أنت تكونون، إذا لم تكونوا تنطقون؟ ثم راح إبراهيم يحطمها، باستثناء كبيرهم كي يعزو الفعلة إليه، وأخذ إبراهيم إلى جانبه حزباً، والذين أوضحوا عدائيتهم لغير المؤمنين، لكن القوم الكافرين قالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ إنه لمن الظالمين، قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، فأتوا به إلينا! كذلك فإنّ الملك أيضاً تحدّث مع إبراهيم بشأن الأصنام فقال إبراهيم: إنّ الله هو الذي يحيي ويميت، فردّ الملك: لا، بل أنا الذي أحيي وأميت، فأجاب ابراهيم: انظر، الله يجعل الشمس تشرق من الشرق، فاجعلها تشرق من الغرب، حتى نقر لك بأنك إله، فارتبك الملك الكافر في أمره، ولم يجد ما يردّ به عليه، فسأله احدهم: هل أنت الذي حطّمت آلهتنا؟ فأجاب لا، إنّ كبيرهم هو الذي فعل بهم ذلك! فاسألوهم، إذا كان باستطاعتهم الكلام! على أعين الناس لعلّهم يشهدون، قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم، فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فرأى الكافرون عدميّة أوثانهم، وقال واحدهم للآخر: أنتم ظالمون! من ناحية أخرى عادوا للتشاجر مع ابراهيم، وقالوا له: أنت تعرف جيداً، أنّ هؤلاء لا يتكلمون! قال: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله! أفلا تعقلون! قالوا: حرّقوه وأنصروا آلهتكم! فألقوه في كومة الحطب المشتعل. لكن الله قال للنار: يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم! وهكذا

أنقذ الله إبراهيم وأخاه مع لوط إلى الأرض المقدّسة. وبناءً على وعد منه، صلّى ابراهيم لأبيه مستغفراً؛ لكنّه سرعان ما تبرّأ منه، بعد أن اكتشف أنه عدو لله.

جاءت الملائكة إلى ابراهيم، وبشرته وزوجه بإسحق ومن بعد إسحق يعقوب، لكن إبراهيم في البداية ارتاب بهم، فهم لم يمسّوا شيئاً، من العجل الذي شواه لهم. بالمقابل، فالملائكة، يقولون: لا تخف، إنّا أرسلنا إلى قوم لوط. لكن زوج إبراهيم تشك في الرسالة المحمولة، فهي لا تستطيع إنجاب أولاد بعد الآن باعتبارها امرأة عجوز. لكن الملائكة؛ قالوا: أتعجبين من أمر الله، رحمت الله وبركاته عليكم؟ ولأن الوجل استبد بإبراهيم، فقد راح يصلي لقوم لوط الأثمين، الآيلون إلى التدمير، كي يغفر لهم. لكن الرسل، يقولون: أَعْرِض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّكَ وإنّهم آتيهم عذابٌ غير مردودٍ! يشير إبراهيم إلى لوط، الذي يجده مؤمناً بين قومه ويذكّر بالخشية من الله.

آمن لوط برسالة إبراهيم، وقال لقومه: اتّقوا الله وأطيعُونِ، وما أسألكُم عليه من أجْرٍ، أتأتونَ الذكرانَ من العَالمينَ، وتذَرونَ ما خلقَ لكُم ربكم من أزواجِكم؟ بل أنتم قومٌ عَادونَ! لكن القوم هدّدوا لوط بالطرد، إذا لم يتوقف عن كلامه.

لمّا جاء آل لوط المرسلون، قالَ لهم هذا: إنّكم قومٌ مُنكَرُونَ! لكنهم ردّوا عليه، بقولهم: لقد أتيناكَ بالحقّ وإنّا لصادِقونَ! انشغل بال لوط على ضيوفه؛ وكان لوط مغلوباً على أمره حيال قومه، الذين حرّموا عليه، استقبال ضيوف، وكانوا يعملون الشر على نحو مضطرد. وعندما جاء القوم للمحال مندفعين، قال لوط لهم: خذوا بناتي حبيباتي بدل ضيوفي الغرباء، خافوا الله ولا تخزوني في ضيوفي! لكن القوم أجابوه: قد علمت مالنا هدف في بناتك، وإنك لتعلم ما نريد! عزّى الملائكة لوط المهموم وطلبوا منه، أن يغادر المدينة

المهدّدة بالعذاب قبل الصباح، شريطة أن لا يلتفت منهم أحد إلى الوراء، وحدها زوجه كانت ستؤول إلى الفساد مع القوم الخاطئين. لكن كون القوم أصرّوا على تسلّم الضيوف، جعل الله الحجارة تتساقط وقضى على المدينة. مع ذلك، فقد أنجي لوط و عائلته، عدا زوجه.

وحين أمر الله ابراهيم، أن يصير مسلماً، قال هذا: أسلمت إرادتي لله ربّ العالمين. ثم قام، بالاشتراك مع إسماعيل، بتأسيس الكعبة، وصلّى، كي يجعل الرحمن منهم أمّة مسلمة، يتلوا عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة. وعند تأسيس الكعبة قال الله لإبراهيم الكلمات التالية: لا تشرك بي شيئاً، وطهِّر بيتيَ للطّائِفين والقائِمين والرُّكّعِ السُّجودِ. ونادي الناس كي يقوموا برحلة الحج، عليهم أن يأتوا على الأقدام أو فوق الجمال، ليذكروا اسم الله في أيّام معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وعليهم أن يأكلوا منها، وأن يطعموا البائس الفقير. يطلب إبراهيم من الله، أن يريه، كيف يحيي الموتى. وحين يسأل الله ابراهيم، إن كان لا يؤمن بذلك، أجاب: بلى، ولكن ليطمئن قلبي! فأمره الله، بأن يأخذ أربعة من الطير، فيصيرهن إليه، ثم يجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً، ثم يدعوهن، فيأتين إليه سعياً.

حين طلب الله من ابراهيم، أن يقرّب له ابنه، قال ابراهيم لابنه، بعدما أحس أنه أضحى ناضجاً ومفيداً له: يا بني، إني أرى في المنام، إني أذبحك! فهل تريد الاستسلام لمشيئة الله؟ عندما طلب ابن ابراهيم من والده، أن ينجز إرادة الله، صرخ الله بإبراهيم: لقد نجحت في الامتحان، وأثاب الله الأبرار، بأن فدى الابن بقربان.

ومرّة أجرى الله على ابراهيم اختباراً، حيث أراه مملكة السماوات والأرض، وعندما نجح في هذا الاختبار، جعله الله إماماً للبشريّة. فقال ابراهيم: وهل ستنشر ذرّيتي تعاليمك ؟ أجاب الله: لا ينال عهدي الظالمين!

لكن ابراهيم صلّى؛ وقال: ربِّ، اجنبني وبنيَّ أن نعبدَ الأصنام. اجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وهم الذين أسكنتهم بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم، وارزقهم من الثمرات، ومن ذرّيتي تقبّل دعاء، إنّك تعلم، ما نخفي وما نعلن؛ فأنت العليم.

صلّى ابراهيم، أن يغفر الله له ولوالديه وللمؤمنين بيوم الحساب، صلّى ابراهيم أيضاً لأجل بلده، وقال: ربِّ اجعل هذا البلد آمناً، وارزق أهله، من آمن منهم بالله واليوم الآخر. فأجاب الله، أن من كفر أمتعه قليلاً، ثم أضطره إلى عذاب النار، وكان ابراهيم سيجزى على إيمانه، بأن الله سيجعل من إسحق ويعقوب نبيين وأمثولتين للجنس البشري. ومثل بقيّة رسل الله، ينتمي إسماعيل أيضاً إلى الأنبياء، إنه يؤسس الكعبة مع والده، والله يسمّي ابراهيم، الذي لم يكن يهوديّاً ولا نصرانيّاً، بل إمام وحنيف، خليله؛ ويهديه إلى الصراط المستقيم. أولاد ابراهيم الذين يحضرون الوعود، يصبحون مسلمين. إنّ محمداً والذين يؤمنون بالله هم من أتباع ابراهيم.

المصادر

السورة 6: 76 – 79 (3 مك): «فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال: هذا ربي؛ فلما أفل، قال: لا أحب الأفلين! فلما رأى القمر بازغاً، قال: هذا ربي؛ فلما أفل، قال: لئن لم يهدني ربّي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة، قال: هذا ربّي! هذا أكبرُ! فلما أفلت، قال: يا قوم إني بريءٌ ممّا تشركون.[1] إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين». قارن: 37: 83 – 91 (2 مك) [وإن من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربّه بقلب سليم. إذ قال لأبيه وقومه: ماذا تعبدون. أئفكاً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم بربّ العالمين. فنظر نظرة في النجوم. فقال: إني سقيم. فتولوا عنه مدبرين فراغ إلى آلهتهم، فقال: ألا تأكلون]، حيث يروى، كيف أن إبراهيم، يصل إلى معرفة الله، من خلال تعرّفه أنّ الأصنام لا تستطيع أن تأكل أو تنطق. ويحسب 41: 37 (3 مك) [«لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله الذي خلقهن»]، يُطلب من المؤمنين أن لا يسجدوا للشمس ولا للقمر، بل لله، الذي خلق الاثنين.

يخبرنا يوسيفوس في «*عادياته*» I، V، 1، أنّ إبراهيم توصّل إلى معرفة الله، عبر التأمل في الأرض، البحر، الشمس والقمر: «كان [إبراهيم] رجلاً عميق البصيرة وله موهبة الاقناع القوي والمحاكمة الصحيحة. فعبر فضيلته ورؤيا تراءت له أيضاً، آمن أنه في زمن ما، سوف تتغيّر التصوّرات الخاطئة المتعارف عليها عن الله وسوف تصحح. في البداية تجرأ على الاعتراف، أنّ إلهاً فقط، والذي خلق كلّ شيء، وكل شيء البتة يجب أن يعين الانسان في

[1] إني بريء مما تشركون. على نحو شبه دائم ترد كلمة بريء في القرآن بمعنى: خال من عبادة الشيطان. هذا ما نجده عند هود (11 : 54)؛ في وصف الشيطان، الذي يقول للإنسان أن يكفر (16 : 59)؛ وعند محمّد، الذي يتبرّأ من إشراك قومه (9: 3؛ 10: 42؛ 11: 37؛ 26: 216).

الوصول إلى النعيم، أوجدنا عبر عطيّة خيره ولم نخلق عبر قوة ما. وقد رأى هذا عبر التأمل في الأرض والبحر، الشمس والقمر، وكذلك في تبدّلات السماء. وفكّر [إبراهيم] قائلاً، لو أن وجود هذه الأشياء المستمر كان عبر وجودها ذاته، فسوف يكون باستطاعتها إذن أن تعتني بالمحافظة على نظامها أيضاً. لكن هذه [الأشياء] لا تفعل ذلك كما يتضح لنا، ولا تستطيع بالتالي أن تكون مفيدة عبر قواها الخاصة وحدها، وهي تعتمد حتماً إذن على قوّة الربّ الذي يتحكّم في كلّ شيء، والذي يستأهل أيضاً الشرف والحمد».

يقصّ علينا فيلو (De Abrahamo , Cohn , & 60) أيضاً أن إبراهيم تعلم من نظام الطبيعة معرفة الله: «بعد أن أضحى هذا (إبراهيم) نصيراً غيوراً للصلاح، وهو الفضيلة الأعلى والأهم، حاول أن يتبع الله وأن يطيع أوامره، هذه الأوامر التي ليست فقط تلك التي رآها معلنة عبر الكلمة والكتابة، بل أيضاً التي تُكشف في آيات الطبيعة و التي تتبينها أصدق الحواس (العين) قبل الأذن غير الواثقة والتي لا يعتمد عليها، و الذي يرى في الطبيعة النظام الحاكم للعالم والعرف العالي الفائق الوصف، يتعلّم، دون أن يقول له أحد كلمة، أن يعيش حياة يقينيّة ملتزمة بالشريعة....» أنظر أيضاً: سفر *اليوبيل* (Kautzsch , II , S62): «وفي هذا الأسبوع السادس من السنة، في عامه الخامس، جلس إبراهيم في القمر الجديد من القمر السابع، وراح يراقب النجوم من المساء إلى الصباح، كي يرى كيف تكون في السنة الممطرة. وكان وحيداً، عندما كان يجلس ويراقب. وجاءت إلى قلبه كلمة، وقالت: كل آيات النجوم وآيات الشمس والقمر، كلّها آيات في يد الله... لأيّ شيء يكشفها... ؟» قارن أيضاً: *أبوكاليبس أبراهام* (تحرير Leipzig 1897، Bonwetsch، ص 10): «ما إن جلس إبراهيم ذات يوم في الحقل ورأى نجوم السماء وكله من الله، أخذ ذلك في قلبه، وقال: هذه الآلهة، لم تخلق ذلك،

فالله خلق السماء والأرض وكل شيء؛ لكننا بشر لا عقول لنا، فنحن لا نؤمن بخالق السماء والأرض، بل نعتقد بالأحجار والخشب والأوهام، لكنني أرى وأفهم أن الله كبير، وهو الذي خلق السماء والأرض والكون كلّه».

تقول *بيراخوت* 32 ب، إن إبراهيم كان أول من أسمى الله «ربّ»، حيث تسلّم الهاغاداه جدلاً على ما يبدو بأسطورة تأمل الطبيعة، لكنها بالمقابل لا توردها.

تظهر هذه القصّة بالتفصيل، للمرّة الأولى في التراث اليهودي، في *معاسه أبراهام*(Jellink, B. – H. I, S. 25ff):

«וילך על שפת הנהר וכשבא השמש ויצאו הכוכבים אמר: אלו הם האלהים • אחר כך כשעלה עמוד השחר לא ראה הכוכבים אמר: לו אעבוד את אלו כי אינם אלהים • אחר כך ראה השמים אמר: זה אלי ואנויהו וכשבא השמש אמר: אין זה אלוהראההירחאמר: זהאיוואעבודאותו • כשהחשיךאמר: איןזהאלוה • • ישלהממניעי».

وجاء إلى حافة النهر. وما أن غابت الشمس وظهرت النجوم، حتى قال: هذه إلهي! ثم ما أن ظهر الغسق، ولم يعد يرى النجوم، حتى قال: سوف لن أعبد هذه، فهذه ليست إلهاً. ثم رأى الشمس، وقال: هذا إلهي، وسوف أسبّح بحمده (خر 15: 3) [النص في سفر الخروج: هذا إلهي، فيه أعجب]. وعندما غابت الشمس، قال: هذا أيضاً ليس إلهاً! ثم رأى القمر، وقال: هذا إلهي، سوف أعبده. وما أن حلّ الظلام، حتى قال: هذا أيضاً ليس إليهاً! لا بد أن هناك أحداً ما والذي يسيّر كلّ شيء». ثم التقى الملاك جبريل، الذي أشار إليه بأنّه رسول الله وعلى نحو متزايد تتطابق القصّة القرآنيّة مع ما تقدّمه إلينا *معاسه أبراهام*(Jellinek, B. H. II. S11):

«כשהיה בן שלש שנים יצא מן המערה הרהר בלבו: מי ברא שמים וארץ ואותי ? התפלל כל היום כולו לשמש ולערב שקע השמש

במערב וזרחה הלבנה במזרח. כשראה הירח והכוכבים סביב הירח אמר זהו שברא השמים והארץ ואותי והכוכבים הללו שריו ועבדיו · עמד כל הלילה בתפלה לירח לבקר שקע הירח במערב וזרח השמש במזרח – אמר: אין ביד אלו כח – אדון יש עליהם. אליו אתפלל: ואליו אשתחוה:» عندما كان (إبراهيم) في الثالثة من العمر، خرج من المغارة وجلس متأملاً بعمق: من الذي خلق السماء والأرض ومن الذي خلقني؟ وأمضى اليوم بطوله يصلّي للشمس، وفي المساء، غابت الشمس في جهة الغرب، ومن الشرق، بزغ القمر. وحين رأى القمر والنجوم تحيط بالقمر، قال: هذا الذي خلق السماء والأرض وكذلك أنا، وهذه النجوم هم حاشيته وخدمه، وأمضى الليل بطوله يصلّي للقمر. وفي الصباح غاب القمر في جهة الغرب، وبزغت الشمس من الشرق، عندئذ، قال: كل هذه لا تملك قوة، إن رباً فوقها، له سأصلّي وأمامه سأسجد».

وبحسب مجموعة *المدراشيم الصغيرة* Sammlung kleiner Midraschim (تحرير Horovitz، برلين 1881، الفقرة 1، ص 43 ومابعد) يراقب إبراهيم في البداية غياب الشمس لكنه لا يرقب النجوم.[1] ويشير غرينباوم Grünbaum[2] إلى فابريشيوس Fabricius (I: 336)، حيث يُروى بالاسم عن Suidas فقرة Αβρααμ [أبراهام]، أنّ إبراهيم عندما رأى السماء وهي شبه صافية، قد أضحت مظلمة، قال لذاته: «ليس هذا بإله». ومثل ذلك، أنه حين لاحظ أنّ الشمس غالباً ما تكون غير مرئية ومظلمة، وأنّ ضوء القمر ينقص ويزداد، قال: «لا يمكن أن يكون هذان إلهين».

[1] بحسب زوهار، فصل بيرالسيت، يصل إبراهيم إلى معرفة الله عبر الشمس الآفلة. وهذا مأخوذ من إشعيا 41 : 2 حيث هذا الموضع ينطبق على إبراهيم.

[2] *Neue Beiträge*, S 131.

إنّ المقارنة بين الإطار القرآني الحكاية من ناحية والمواضيع المستمدة من الأديين اليهودي والمسيحي تظهر، أن القرآن الكريم وسفر اليوبيل وأبوكاليبس أبراهام كلها تجعل تأمل النجوم يأتي بادئ ذي بدء، لكن النص من التقليد اليهودي المسمّى معاسه أبراهام، الذي ينتمي إلى مرحلة أكثر حداثة، يظهر نوعاً من التأثر بالتقاليد الإسلاميّة، كما يظهر تعبير«אין זה אלהים» والذي هو بالفعل مأخوذ عن العربيّة. لكن سفر اليوبيل، الذي هو موجود لدينا بالكامل فقط عبر ترجمة أثيوبيّة، التي هي بدورها مأخوذة عن نسخة يونانيّة للنص العبراني الأصيل (انظر Kautzsch، II: 31)، والذي نادراً ما كان يلعب دوراً بين اليهود زمن محمّد، كان بالمقابل يقرا من قبل المسيحيين،[1] لذلك فمن المحتمل جداً، رغم شيوع الحكاية في وقت أكثر حداثة بين اليهود، أن المسيحيين هم الذين رووا على مسامع المسلمين تلك الحكاية.

إن تأمل تعاقب الليل والنهار، الذي يقوم به إبراهيم، يقوده، إلى إنكار الآلهة، و إلى أن يدعو ذاته «بالحنيف»، ومحمد لم يكن أوّل من استخدم هذه الكلمة، فكما يظهر فلهازون Welhausen (Reste altar. Heidentums , S.239, S119)،[2] نولدكه Nöldeke (Neue Beiträge, S.30)، بول Buhl، El Cheikho) s.V. Christianusme) وهوروفيتس Horovitz (k,u, , 56ff)، فإنّ كلمة حنيف كانت تُستخدم بمعنى «تقي». وكما يبدو، فإن محمداً تعلّق بهذا المعنى للكلمة حيث كان يشير بحنيف إلى الأتقياء، الذين لم يسمع بهم اليهود ولا

---

[1] انظر:

Harnack , *Geschichte der altchristlichen Litertur* , 1893 , 1 , S. 858.

[2] انظر:

Schultheß, Orient. Studien, S. 86; Horovitz, K. U., S. 50.

المسيحيون، وبحسب تور أندرا Tor Andrae، Kyrohist . Arsskrift 1932 . S. 188، تظهر حنيفية الأنبياء كحقيقة، ليس كطائفة حتماً، بل كتيار توحيدي داخل الديانة العربيّة، ويقول هوروفيتس ما معناه، K. U. , S56f، إنّ هذه التسمية كانت تطلق على شخص بعينه انشق هرطوقيّاً عن أخوته في الدين من أتباع العقيدة الأرثوذكسية وكان المعني بذلك وثنيّاً، وظل يحمل هذا الاسم لاحقاً، لكن بعد أن فهم بمعنى «تقي».

على أيّة حال، لابد لنا من الإشارة إلى أن محمداً، فهم من كلمة حنيف إنساناً، يفترض حصول تبدّل فيه، بحيث يحتقر عبادة الأصنام، ويعترف بالله على أنه الإله الأوحد، ليس إبراهيم وحده، بحسب 6: 79 وما بعد [إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حيفاً]، 16: 122 وما بعد (3مد) [ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً] الذي يجتاز هذا التحوّل، بل إن محمداً ذاته يتسمى بهذا المعنى حنيفا؛ انظر: 6: 161 وما بعد (3مد) [قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً]؛ 10: 105 وما بعد (3مد) [وأقم وجهك للدين حنيفاً]. وهنا تتذكّر بالتالي حانيف العبرانيّة التي تعني «منافق»، حنابا السريانية وحنيفايا المندائيّة اللتين تعنيان «عابد الوثن»، وربما حنيف العربيّة التي تعني «المنشق عن ملّته». وربما بالتالي أنّ محمّداً سمع عن أولئك المنشقين عن مللهم، الذين في زمن ما قبل الإسلام أنكروا دياناتهم الأصلية وسموا أنفسهم حنفاء؛ وفي الوقت ذاته، راح يفكر بحنيف العربية بمعني منشق عن ملّته الأصليّة.

اختيار إبراهيم

السورة 2: 124 (مد): «وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن، قال: إني جاعلك للناس إماماً، قال: ومن ذرّيتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين». قارن 33: 7 [وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و إبراهيم... وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً]؛ 57: 26 [ولقد أرسلنا نوحاً و إبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوّة والكتاب...] (مد).

إغواءات إبراهيم العشر تلعب دوراً كبيراً في الحكاية. وهذا الرقم يعرفه سفر اليوبيل (19: 8؛ II: 72 Kautzsch) و المشناه (Abot V :3). لكن الاغواءات تقدّم في الماغاداه (Abot d. R. N. 1 , 33. Versio II , 96 , Perq. d. R. E 26)[1]، سفر اليوبيل وافرام السرياني بطريقة مختلفة.

أما اللفظة القاسية في القرآن، بأن ذرّية إبراهيم ظالمين لا ينالون «عهد الله»، فسوف يجري تحديد أولئك في موضع آخر (57: 26) [فمنهم مهتدٍ] حيث يسمّى بعض ذرية نوح و إبراهيم «بالمهتدي»، لكن الغالبية فاسقة. إذن، ففي زمن المدينة، الذي تأتي منه هذه الآية آنفة الذكر، كان لمحمد رأي لا لبس فيه في اليهود والمسيحيين.

لم يكن إبراهيم يهوديّاً ولا مسيحيّاً (2: 140؛ 3: 67) [أم تقولون إن إبراهيم... كانوا هوداً أو نصارى]؛ [وما كان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مُسلماً وما كان من المُشركين].

אמר אברהם לפני הקב"ה: רבונו של העולם שמא ישראל חוטאים לפניך ואתה עושה להם כדור המבול ודור הפלגה א"ל: לא... אמר... לפניו... רבונו של עולם תינח בזמן שבית המקדש קיים. בזמן שאין בית המקדש קיים، מה תהא עליהם؟ إبراهيم روع أبراهام بالإشارة

[1] انظر:

Ginzberg , Haggada , MGWJ 1899 , S. 534.

إلى الأضحية، التي كان اليهود سيشغلون أنفسهم بها أيضاً حتى بعد خسارة مزارهم». وبحسب عدد راباه (2: 11) يؤكد الله لأبراهام: «כל הבנים שעתידין לעמוד ממך יהיו כמוך: كلّ أبناؤهم، الذين سينحدرون منك يوماً، سوف يكونون مثلك». وهكذا فإنّ محمداً، حين سمع بالأسطورة اليهوديّة، غيّر معناها وفق الموقف الذي أخذه من اليهود والمسيحيين في الزمن المديني، والذي لم يسلم فيه بهم على أنهم ذرية لإبراهيم بحقوق متساوية، أما اعتبار إبراهيم إماماً للبشرية، فهو ما يظهر في سفر التكوين12: 3 [ويتبارك بك جميع عشائر الأرض].

إبراهيم يتشاجر مع أبيه

السورة 19: 42 - 48 (2 مك) «إذ قال لأبيه: يا أبت، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبت إنّي قد جاءني من العلم[1] ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان، إن الشيطان كان للرحمن عصيّاً. يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم! لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليّاً. قال: سلام عليك، سأستغفر لك ربّي، إنّه كان بي حفيّاً، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربّي عسى ألّا أكون بدعاء ربّي شقياً».

[1] علم هنا نشير إلى الدين القويم باعتباره ثمرة المعرفة. العلم بحسب القرآن عتلك فقط تقريباً من قبل الشخوص الكتابية، مثلاً: لوط (21 : 74)، يوسف (12 : 22)، موسى (28 : 13)، داود وسليمان (21: 79، 27 : 15).

قارن 6: 74 (3 مك): [وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر[1] أتتخذ أصناماً آلهة؛ إني أراك وقومك في ضلال مبين]؛ وبحسب 21: 51 - 56 (2 مك)، [ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين. قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين. قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال: بل ربكم رب السموات والأرض...]، يهزأ إبراهيم من أبيه وقومه الذين يعبدون الأصنام في الزمن الحالي ويوضح، أنه حتى أسلافه أيضاً، فإنهم يسمون ضالين. أما 43: 26 – 27 (2 مك) [قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين]، فتجعل إبراهيم يقول إنه بريء من أصنام قومه.

كثير مما ورد في القرآن يتطابق مع المعركة الكلاميّة التي، كما يقول سفر اليوبيل (Kautzsch II , S. 61f)، دارت بين إبراهيم ووالده: «وحدث في الأسبوع السادس من السنة، في سنته السابعة، أن قال أبراهام لتراح Terah، والده، الذي كان يتحدث معه: والدي! قال: ها أنا هنا، يا ولدي! فقال: ما المعونة والفائدة اللتان (تأتيان) لنا من هذه الأصنام، التي أنت تقدّسها وتنحني أمامها ؟ إنها لا روح فيها، بل على الأرجح أنها عجماء، بلا قلب، فلا تقدّسها! قدّس إله السماوات، الذي ينزل المطر والذي يصنع كل ما على الأرض وكلّ شيء عبر كلمته ومن وجهه كل الحياة (تخرج). لماذا تقدّسها، وهي التي لا روح فيها؟ إنها بالتالي من صنع أيدينا، وعلى أكتافهم يحملونها، ومنها (لا تستحصل) على أية مساعدة، فعيب على الذين يصنعونها، وضائعة

[1] في هذا الموضع يسمّى والد إبراهيم آزر. وكان فرينكل أول من لاحظ أن هذا الاسم مشتق من إيل-آزار Ἀελζαρος، يمكن لنا أن نفكر بنوع من الارتباط بين آزر وخادم إبراهيم المدعو إليعزر. انظر: Horovitz , K. U. S. 85r، يشير أيضاً إلى لوقا 16 : 24؛ انظر : ZDMG 1930 , S. 166.

ألباب الذين يقدّسونها! فقال له أبوه: أعرف، يا ولدي، أيضاً... الخ». وأوضح والد إبراهيم، أنه لا يستطيع قول الحقيقة لقومه، لأنه سيموت بشكل أو بآخر.

على نحو مشابه لما يرد في القرآن، تصف *أبوكاليبس ابراهام*، تحرير Bonwetsch، ص 14، الموقف الرفضي الذي يأخذه إبراهيم ضد أصنام آبائه: «لكني سرت في هذه الطريق، بقلب متقلّب، وإحساس منقسم. وتكلّمت بيني وبين ذاتي: ما هذا الذي هو مصنوع للشر، الذي يعمله والدي؟ أليس على الأرجح أنه هو ربّ أربابه، التي هي تصير عبر إزميله وخراطته وحكمته، أوليس مناسباً على الأرجح، أن تكون هي تعبد والدي، لأنها من صنعه؟... فأجبت وقلت له: اسمع، يا والدي تيراح، الأرباب تبارك منك، فأنت ربّها، أنت الذي خلقتها؛ فبركتها إذن فاسدة، ومعونتها بلا جدوى: إذا كان أي منها لا يساعد ذاته، فكيف يمكن أن يساعدك أو يباركني ؟». وحالما سمع (الأب) كلمتي، صبّ جام غضبه عليّ، لأني قلت بحق إلهه كلمة قاسية».

ويحسب *أبوكاليبس أبراهام، ص 17*، قال أبراهام لوالده: «حين تسبّح بحمد أي من هؤلاء باعتباره إلهاً، فأنت لاعقلاني في مشاعرك». قارن أيضاً، النص ذاته ص 11: «إني أقول لك الحقيقة يا والدي، هذه الآلهة غير جيدة، وحين أنت تؤمن بها، فأنت شرير. فشهر والده عليه السكين، فانزاح إبراهيم جانباً، وتشوشت حواسه...». ويحسب بيت ها مدراش B. – H، تحرير JellinkK ، Bd. 1، S .25 ، يوضح إبراهيم، أن صورة نمرود، التي يقدّسها والداه، لا تستطيع أن تتحدث بفمها، لا تستطيع أن ترى بعينيها، لا تستطيع أن تسمع بأذنيها ولا تستطيع أن تمشي على قدميها وأنها لا تستطيع أن تفيد ذاتها ولا من يعبدها. ونتيجة لذلك، وبخ تيراح إبراهيم.

إن الحكاية التي وصلت إلى محمد عن طريق المسيحيين حول شجار إبراهيم مع والده، تظهر في إطارها القرآني، أنّ محمداً يبرّئ الابن المؤمن من واجب الطاعة حيال الأب غير المؤمن. وبحسب الآية 29: 8 [وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما]، على الابن أن لا يطيع والديه اللذين يريدان إغواءه كي يعبد الأصنام. هذا التشريع، كما يشير غايغر، يرجع إلى أصول يهوديّة، لكن يمكن أن نجد في المسيحيّة تعاليماً مشابهة (29 ,5 .Act. Ap).

وكون الأصنام لا تستطيع نفعاً، فهذا ما يؤكد عليه محمد لقومه (45: 10 [ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء...]؛ 53: 26 [وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً])، ومثل إبراهيم، فالبينات تأتي إلى محمد أيضاً (40: 66 [جاءني البيّنات من ربّي]). أما الإشارة إلى ترك إبراهيم عائلته فهي مأخوذة عن سفر التكوين، الاصحاح 12: [وقال الربّ لأبرام (إبراهيم): انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك...].

إبراهيم يتشاجر مع قومه

السورة 6: 80 – 81 (3 مك): «وحاجّه قومه؛ قال: أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً، وسع ربّي كلّ شيء علماً[1]، أفلا تتذكرون. وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً». قارن: 9: 70 (مد) [ألم يأتكم نبأ الذين من

[1] غالباً ما يرد هذا القول: وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً. هذا ما نجده في 6: 80 (3 مك)؛ 7 : 87 (3 مك)، 20 : 98 (2 مك). وبحسب 40 : 7 (3 مك)، يتّسع الله كلّ شيء برحمته، وهو ما يمكن مقارنته مع المزمور 145 : 9.

قبلكم، قوم إبراهيم...]؛ 19: 41 – 49 (2 مك): [واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك، فاتبعني أهدك صراطا سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً. قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؛ لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً]. 21: 59 – 67 (2 مك): [قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلّهم يشهدون. قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال: بل فعله كبيرهم هذا فأسالوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا: انتم الظالمون: ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله...].

السورة 26: 69 – 82 (2 مك): «واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه: ما تعبدون. قالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال: هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون[1]. قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.[2] قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحين». يطلب إبراهيم

[1] يصف القرآن على الدوام عجز الأوثان. فبحسب 22 : 73 (مد)، لا يستطيعون خلق ذبابة وإذا أخذ منهم الذباب شيئاً لا يمكنهم تخليصه منه؛ وبحسب 35 : 14 (3 مك) لا يمتلكون قوّة لقافة نواة التمر. كذلك فإنها لا تستطيع مساعدة الإنسان في كشف الضر 39 : 39 (3 مك).

[2] قول كهذا أو مثيل له يقوله أيضاً قوم محمّد لنبيّهم. انظر 2 : 165؛ 5 : 103 (مد)؛ 7 : 27؛ 79 : 10؛ 31 : 20 (3 مك). وبحسب 43 : 21 – 22 (3 مك)، يشير غير المؤمنين في القرى، الذين أرسل الله لهم نذيراً، إلى ديانة أسلافهم.

أيضاً مغفرة خطاياه يوم الدين، ويصلي كي تعطى له الحكمة وأن يلحق بالصالحين، ويطلب أن يجعل له «لسان صدق» في الآخرين. وأراد أيضاً أن لا يخزي والده غير المؤمن في يوم يبعثون؛ وهكذا فالجنة هي ثواب المؤمنين، مثلما هي جهنم مأوى الآثمين. قارن: 29: 16 – 19 (3 مك): [و إبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا الله واتقوا ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله أصناماً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين. أولم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده...]؛ 29: 25 (3 مك): [وقال: إنما اتخذتم من دون الله أصناماً مودّة بينكم في الحياة الدنيا يكفر بعضكم ببعض...].

السورة 37: 83 – 96 (2 مك): «إذ جاء (إبراهيم) ربه بقلب سليم»[1]. إذ قال لأبيه وقومه: ماذا تعبدون. أئفكاً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين. فنظر نظرة إلى النجوم. فقال: إني سقيم. فتولوا عنه مدبرين. فراغ إلى آلهتهم، فقال: ألا تأكلون. مالكم لا تنطقون. فراغ عليهم ضرباً باليمين. فأقبلوا إليه يزفون. قال: أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون». قارن: 43: 26 – 28 (2 مك): [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين]. وبحسب 60: 4 (مد): [قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه]، فقد كان لإبراهيم حزبه الذي إلى جانبه، والذي أظهر عداوته وبغضه لمن كان يعاصرهم من غير المؤمنين.

---

[1] (ترغوم حبقوق 1 : 3) לבב שלם (2 أخ 12 : 38) و الآرامية العبرانية לבב שלים قلب سليم، قابل : 26 : 89. قارن أيضاً :
Ahrens, *Muhammed as Religionsstifter*, 1935, S. 50.

المحاججة، التي كانت تتم بين إبراهيم من جهة، وأبيه وقومه من جهة أخرى، تكشف كم كان يلعب، على نحو متزايد، أدوار محمد ذاته. يقول محمد لبني قومه، «أتحاجوننا في الله» (2: 139، مد)، حيث يؤكد لهم، مثل إبراهيم تماماً، أن الله هداه إلى صراط مستقيم، أمّا سؤال إبراهيم: «هل يسمعونكم إذا تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟» فيذكرنا بالمزمور 115: 5 وما بعد: [لها أفواه ولا تتكلم، لها عيون ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع، لها أنوف ولا تشم. لها أيد ولا تلمس، لها أرجل ولا تمشي]؛ كذلك فإن الإشارة إلى قوّة الله في آية «يميتني ثم يحيين»، فتذكرنا بسفر صموئيل الأول 2: 6 [الرب يحيي ويميت] ومواضع أخرى مشابهة تقرأ في الليتورجيا اليهوديّة. ومثل سليمان، يطلب إبراهيم أيضاً المعرفة ويصلي لأجل «لسان الحقيقة»، و التعبير يذكرنا بجملة هنا שפת אמת-ולשון שקר شفة الحق _ لسان الزور، في سفر الأمثال 12: 19.

في الآية 43: 25 (2 مك) نجد إبراهيم يقول لقومه: «إنني براء مما تعبدون»[1]. وفي زمن المدينة (60: 4)، نجد إبراهيم و الذين يقفون إلى جانبه يقولون لباقي القوم: «إنا براء منكم». كذلك فمحمد يوضح براءته من قومه وأصنامهم في مواضع كثيرة: 6: 19 (3 مك) [إنني بريء مما تشركون]؛ و 11: 35 (3 مك) [أنا بريء مما تجرمون].

وبحسب السورة 37: 89 وما بعد (2 مك)، ينظر إبراهيم إلى النجوم، ويقول: «إني سقيم». وهذا يظهر الصدى القرآني لما ورد في سفر التكوين 15: 5-6 [انظر إلى السماء واحص الكواكب إن استطعت أن تحصيها...]؛ كذلك

[1] إنا براء منكم ومّا تعبدون. من أجل هذا النص؛ قارن :

Horovitz ,K.U.,S.42.

يقول أبو إبراهيم لابنه، في *أبوكاليبس أبراهام*، (تحرير Bonwetsch، ص 10): «لقد وقعنا نحن الاثنان مرضى».[1]

إبراهيم يحطم أصنام والده

السورة 21: 58 (2 مك): «فجعلهم (الأصنام) جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون». في *أبوكاليبس أبراهام*، (تحرير Bonwetsch، ص 10)، نجد حكاية مشابهة؛ «في يوم ما، وكان والد إبراهيم يقوم بحفر أصناماً، أمره أن يحضر له طعاماً. فتناول إبراهيم أحد الأصنام، وضعه في النار ما وراء القدر، وقال له: إذا كنت إلهاً، خذ حذرك من القدر! ورأى ما رأى فضحك لذلك كثيراً وقال لأبيه: أبي، هذه الأصنام غير جيدة، فهي لا تستطيع أن تحمي ذاتها، فكيف ستحمينا؟... كان والده غاضباً، فقال: لقد وقعنا نحن الاثنان مرضى، يا بني، فأنا أسير باتجاه العدم. بعدئذ، وقف إبراهيم وأخذ الأصنام ووضعها على حمار وجاء بها إلى المدينة ليبيعها. فرأى مستنقعاً من الوحل ضخماً للغاية، فقال للأصنام: إذا كنت آلهة، فحذري الحمار، كي لا يغوص في الوحل. ومضى الحمار وغاص في الطين. فقال لها إبراهيم: لو كنت آلهة خيّرة، إذاً... لاعتنيتم بذواتكم؛ لكنكم آلهة شريرة، وأنتم بالتالي تدعمون الأشرار أيضاً. فتناولها وحطمها... ». النص ذاته، ص 12، يخبرنا كيف يجد أبراهام الصنم ماروماث Marumath راكعاً أمام أقدام الرب الحديدي ناحوراس Nahoras: «وحدث، عندما رأيت ذلك أن قلبي اضطرب، وفكرت بعقلي، أني غير قادر، أن أعيده إلى مكانه، أنا، إبراهيم، وحدي، لأنه كان صلباً مصنوعاً من حجر كبير، فذهبت وأعلمت والدي بالأمر. فرحت معه، وبالكاد استطعنا نحن الاثنان تحريكه، لإعادته إلى مكانه. وبينما كنت أمسكه

---

[1] قارن، بالمناسبة، *سفر اليوبيل*، ص 12 وما بعد؛ (Kautzsch II , S . 61 f).

من رأسه، سقط رأسه عنه. وحدث أن قال لي والدي، حين رأى أن رأس الـمارومات قد وقع عنه: إبراهيم! فقلت: انظر، أنا! فقال لي: هات فأساً قصيراً من البيت! فجئته به. وكان يضرب (يبني) مارومات آخر من حجر آخر لا رأس له، والرأس الذي كان قد سقط عن الـمارومات، وضعه فوقه، وحطم ما بقي من الـمارومات...». وفي *أبوكاليبس أبراهام* (تحرير Bonwetsch، ص 13 وما بعد)، نجد إبراهيم وقد باع أصناماً في سوريا. ثم يقال بعد ذلك: «ونفر أحد جمالهم (التجار في سوريا)، ففزع الحمار وركض ورمى الأصنام عن ظهره؛ فتهشّم ثلاثة منها وبقي اثنان سالمين. وحدث وأن رأى السوريّون أنه كان بحوزتي أصنام، فقالوا لي: لماذا لم تطلعنا، أن لديك أصناماً، بحيث كنا نشتريها، قبل أن يسمع الحمار صوت الجمال، ولم تكن بالتالي لتضيع...». ثم باع إبراهيم الصنمين الباقيين ورمى تلك المهشّمة في مياه نهر غور، «ومنذ ذلك الوقت لم يكن لها وجود».

هذه الحكاية في *الأبوكاليبس* تُظهر، كما سنرى، الملامح الأساسيّة للرواية الهاغاديّة، التي تحاكي الوصف القرآني المختصر لها.

يقول سفر التكوين راباه 38: 19 " ר' הייה בריה דרב אדא דיפו אמר: תרח עובד לצלמים ומוכר היה חד זמן נפיק לאתרי הושיב לאברהם מוכר תחתיו הוה אתי בר איניש בעי דיזבן – והוה אמר ליה: בר כמה שנין את והוה א " ל: בר חמשין או שיתין והוה אמר ליה: ווי ליה לההוא גברא דהוה בר שיתין ובעי למסגד לבר יומא . והוא מתבייש והולך לו . חד זמן אתת חדא איתתא טעינא בידה חדא פינך דסולתי א " ל: הא לך קרב קודמיהון. קם נסיב בוקלסא בידיה ותברהון לכולהון פסיליא ויהב בוקלסא בידא דרבא דהוה ביניהון . כיון דאתא אבוה א " ל: מאן עביד להון כדין ? א " ל: מה נכפור מינך

אתת חדה איתתא טעינא לה חדא פינך דסולת ואמרת לי: האלך: קריב קידמיהון . קריבת לקדמיהון הוה דין אמר: אנא איכול קדמאי. ודין אמר: אנא איכול קדמאי. קם הדין רבא דהוה ביניהון נסיב בוקלסא ותברינון. א"ל: מה אתה מפלה בי: וידעין אינון ? א"ל: ולא ישמעו אוניך מה שפיך אומר: قال... ح. حيا: كان تيراح يعبد الأوثان ويبيعها أيضاً. وذات مرة ذهب والده وسمح لإبراهيم بأن يأخذ مكانه كبائع. فجاء إليه رجل وكان يرغب بشراء أحد الأصنام. فقال له إبراهيم: كم عمرك؟ فأجاب هذا: خمسون سنة أو ستون. فقال للرجل: الويل لرجل عمره ستون عاما، والذي سينحني لصنم، عمره يوم واحد ليس إلا. فخجل المشتري من نفسه ومضى. وذات مرّة جاءت امرأة تحمل في يدها طاسة فيها دقيق ناعم. فقالت لإبراهيم: إذن أنت الذي تقدّم القرابين للأصنام! فنهض إبراهيم، تناول بيده عصا، حطّم الأصنام كلّها، ووضع العصا بيد كبيرهم. وحالما جاء والده، سأله: من فعل بهم (الأصنام) ذلك؟ فقال إبراهيم: لماذا علي أن أخفي الأمر عنك؟ لقد جاءت إلي امرأة تحمل في يدها طاسة فيها دقيق ناعم وقالت لي: ألأنت الذي تضحي لها! ألأنت الذي تقدّم لها قرباناً! فقال أحدهم: أريد أن آكل أنا أوّلاً؛ وقال الآخر: أنا آكل أوّلاً. فنهض أكبرهم، تناول عصا وراح يهشمهم. فقال تيراح لابنه: لماذا تهزأ مني؟ وهل يمكنه فعل ذلك؟ فقال له إبراهيم: أسمعت أذاك إذن، ما يقوله فمك؟»[1].

يمكن أن نجد هذه الحكاية بتفاصيل أكثر عند تانا د.بـ إلياهو زوطا C .25،[2] وهي الرواية التي جاءت من زمن أحدث من سابقاتها: «عندما

---

[1] قارن : غايغر-ص 121.

[2] قارن:

B. Beer , *Leben Abrahams nach auffassung der jüdischen Sage*, Leipzig 1859 , S. 10.

أعطى أبو إبراهيم [ابنه] سلة مليئة بالأصنام لبيعها في السوق، جاء رجل إلى إبراهيم في السوق، وقال له: هل لديك صنم للبيع؟ فقال له إبراهيم: أي نوع من الأصنام تريد؟ عندها قال الرجل لإبراهيم: أنا قوي! أعطني صنماً قوياً جداً مثلي! فتناول إبراهيم صنماً، والذي كان أعلى من كل ما عداه، وقال لذاك الرجل: خذ هذا؟ فقال ذاك الرجل لإبراهيم: و هل هذا الإله قوي مثلي أيضاً؟ فقال إبراهيم له غبي...! لو لم يكن هذا الإله قوياً جداً، لما انتصبت قامته فوق قامات الآخرين. لكني لن أتحدث معك أكثر، حتى تعطيني النقود. وللحال عدّ النقود لإبراهيم، وأخذ الصنم. لكن ما أن سار في طريق العودة، حتى قال له إبراهيم: كم تبلغ من العمر؟ فأجاب الرجل: سبعون عاما! فقال له إبراهيم: أأنت الذي تنحني للصنم الذي اشتريت، أم هو الذي ينحني لك؟ فقال الرجل: أنا الذي أنحني له. فقال له إبراهيم: على ما يبدو، إذنه أنك أنت إله أكثر ما هو إلهك؛ كيف باستطاعتك، وأنت مولود قبل سبعين سنة، أن تنحني أمام هذا الصنم، الذي بني الآن بالمطرقة؟ فرمي الرجل بالصنم في سلة إبراهيم، واسترد نقوده ومضى. بعدها جاءت أرملة فقيرة، وقالت لإبراهيم: أنا أرملة فقيرة، فأعطني إلهاً فقيراً جداً مثلي وللحال أمسك إبراهيم بصنم، والذي كان أقصر من كل ما عداه، وقال للمرأة: خذي هذا الإله فقالت المرأة لإبراهيم: هذا الإله ثقيل علي للغاية. ولم تستطع حمله فقال لها إبراهيم: يا غبيّة، لو لم يكن هذا الوثن أصغر من كل ما عداه، لما وقف أدنى من الجميع. لكنه لن يتحرك من مكانه، حتى تعطيني النقود. وللحال أعطته المرأة النقود، وأخذت الوثن. وحالما أبت في طريق العودة، قال لها إبراهيم: كم هو عمرك؟ فقالت المرأة: عمري سنوات عديدة، فقال لها إبراهيم: أتمنى لو تزهق روح المرأة! كيف باستطاعتك أن تركعي أمام هذا الصنم، و أنت خلقت قبل سنوات عديدة، ووالدي صنعه البارحة بالمطرقة؟ وللحال أعادت

الصنم إلى السلة وأخذت من إبراهيم نقودها ومضت في حال سبيلها. فأخذ إبراهيم كل الأصنام، جاء بها إلى والده، تيراح. فقال أولاد تيراح الآخرون: إبراهيم هذا، لا يلائم بيع الأوثان، ونحن نريد أن نصنع منه كاهنا فسأل إبراهيم: وماذا سيفعل كاهن كهذا ؟ قال له أحدهم: إن عليه تنظيف غرفة الأصنام، سكب الماء أمامها، إطعامها سقيها... وللحال وضع إبراهيم الطعام والشراب أمامها، وقال لها: كلوا واشربوا حتى يعرف واحدنا إنكم من صنع البشريّة، وها أنا أقدم لكم الطعام والشراب لكن ما من أحد تناول حتى الكميّة الأدنى من الطعام والشراب. ثم استشهد إبراهيم بالمزمور 5:115 وما بعد: لها أفواه ولا تتكلم، لها عيون ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع، لها أنوف ولا تشم. لها أيد ولا تلمس، لها أرجل ولا تمشي. وماذا فعل ابراهيم ؟ تناول عصا، فحطم كل الأصنام ورماها في فرن وجلس. وبحسب معاسه أبراهام (نشر يلنيك، بيت ها مدراش، I: 25 وما بعد) الذي هو من زمن أحدث من النصوص السابقة، نرى نمرود وهو يترك إبراهيم قرب الأصنام. وبعد ذلك يقال: فرأى إبراهيم أن الملك ذهب إلى قاعة الاجتماعات، فمد يده وتناول فأساً، وحالما رأى صنم الملك أمامه، قال: الإله أزلي، الإله أزلي (1 مل 39:18). وراح يرميها عن قواعدها ويهشمها، وكان بدأ بالأكبر وانتهى بالأصغر، ومن أحدها كان يأخذ الرجلين، ومن الأخر الرأس، الذي كان يسحق منه العينين ومن الأخر القدمين. وهكذا تركها هناك محطمة كلها «جاء نمرود ليجد أصنامه كلها محطمة، والفأس بيد الأكبر فيها. لكن سفر اليوبيل 12 :12 (Kautzsch , II , S .62) ويلنيك (B – H , 118) يقولان إن إبراهيم يقوم بحرق الأوثان. وبحسب مجموعة المدراشيم الصغيرة، تحقيق Horovitz، برلين 1881، Teil 33ff I، يختبر إبراهيم قوة الأوثان بحرقها في النار. ومن ثم تحترق كلها».

. وهكذا فإن هذه الحكاية كانت معروفة للغاية في الدوائر اليهوديّة، ويبدو أنها لم تكن غير معروفة بالكامل بين المسيحيين، غنزبرغ يشير[1] هنا إلى فيلاستريوس، De haeresibus: " Et Abraham beatissimus frangens idola justificatus est " [ترجمتنا المقترحة للنص اللاتيني: «وراح أبراهام يضرب الأوثان بالمطرقة محطماً إياها وممحياً إياها عن الوجود»].

إنّ الإطار القرآني العام للحكاية مشابه لمثيله في الهاغاداه اليهوديّة. هذا يثبته قول الحكاية القرآنية، إن إبراهيم يعزو إلى الوثن الكبير معرفة من هشم الأوثان. واذا كانت هذه الرواية تذكرنا بمثيلتها الهاغادية، فهي غير ذات صلة بما كان يدور من حكايا مسيحيّة أو تلك التي كانت تقرا في الدوائر المسيحيّة.

الشعب ينفجر غضباً، لأن إبراهيم حطم الأوثان

السورة 21: 59 – 68 (2 مك): «قالوا: من فعل هذا بآلهتنا، إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم، فاسألوهم إن كانوا ينطقون. فرجعوا إلى أنفسهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون. قالوا: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين». أمّا 37: 97 (2 مك) فتجعلهم يقولون: «ابنوا له بنياناً، فألقوه في الجحيم».

[1] MGWJ 1899, S. 487.

وكون إبراهيم، في إشارته إلى عدميّة الأوثان، التي قام بتهشيمها، كان يريد هداية شعبه مثلما أراد من قبل هداية والده، إنما هو نوع من التزيين للحكاية.

لكن الماغاداه التي هي أحدث من تلك المشار اليها آنفاً، *معاسه أبراهام* (يلنيك/ بيت ها – مدراش I: ص 32)، تقدم وصفاً للحادثة مشابهاً لذلك المقدّم في القرآن: «ויענו כל העם בוכים ויאמרו: אדוננו המלך תדע לך שאברהם היה יושב אצלם ושמענו שהיה משבר להם: فأجاب الشعب كلّه: أيها الملك، يا سيدنا، أتعرف أن إبراهيم كان يجلس عند (أصنامك)، وقد سمعنا أنّه هشمها». النص ذاته يحكي لنا كيف طلب أمراء الملك ومستشاروه منه «לבנות לו גדר גדול ולהכריז בכל עירו שכל מי שהוא חפץ בעבודת המלך שיביא אל הבית הזה עצים הרבה עד שימלא כל המקום עצים פה לפה ואחר כך יבעירו העצים באש עד שתעלה השלהבת לשמים ותשליך בתוכם לאברהם ובזה יאמינו בך לעולם ולא תפסיד אמונתך: أن يبني بيتاً خشبياً وأن ينادى في المدينة كلّها، بأن كلّ من يريد خدمة الملك، عليه أن يأتي بخشب كثير إلى هذا المبنى، حتى يمتلئ المكان كلّه بالخشب، ثم يشعل الخشب، حتى يصل اللهب إلى السماء. ثم يرمي إبراهيم فيه! بالتالي سوف يثبت المرء في إيمانه، ولن يتزعزع هذا الإيمان».

تقول الحكاية اليهوديّة، إن إبراهيم، كما أوضحنا من قبل، كان يشير إلى لا جدوى الأوثان، في محاولة منه لهداية والده؛ لكن في القرآن نجد أنّ المقصود بالهداية قومه.

إذن فالقصّة القرآنيّة تظهر وكأن إبراهيم كان يلعب مع قومه الأدوار التي لعبها النبي العربي ذاته، بل إنه يحاول هدايتهم بالكلمات التي كان بحاجتها محمّد في محاولته هداية قومه.

إبراهيم يتشاجر مع نمرود

السورة 2: 258 (مد): «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم: ربي يحيي ويميت؛ قال: انا أحيي وأميت؛ قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب؛ فبهت الذي كفر...». وفي الأيتين 14: 15 (3 مك) [جبار عنيد] و 50: 24 (2 مك) [كفار عنيد] تذكرنا تلك التعابير بسفر التكوين 10: 8 – 9 גבור בארץ [جبار في الأرض...] أو גבור ציד [جبّار أمام الرب].

وبحسب أرطبانوس يعلم إبراهيم ملك مصر، فاريطوطس، الاسترولوجيا[1]. وبالنسبة لإبراهيم كاسترولوجي، أنظر: يوسيفوس، عاديات، I,7, I[2]. على نحو مشابه، مثلما هو الطلب الذي يقدمه إبراهيم لنمرود، كي يجعل الشمس تشرق من الغرب، كذلك فإن السؤال الذي يطرحه أنطونيوس على يهوذا، الأمير، يقول، بحسب سنهدرين 91 ب: " מפני מה חמה יוצאת במזרח ושוקעת א " ל: אי הוא איפכא נמי הכי הוה אמרת לי. א " ל: הכי במערב ? קאמינא לך: מפני מה שוקעת במערב א " ל: כדי ליתן שלום לקונה שנ': ותיתי עד פלגא דרקיע ותתן שלמא ותיעל ? משום פועלים ומשום עוברי דרכים: لماذا تشرق الشمس من الشرق وتغرب في الغرب ؟ فقال له الحاخام: لو كان الأمر معكوسا، هل كنت ستطرح السؤال على أيضاً ؟ فقال أنطونيوس: ما أعنيه هو التالي: لماذا تغرب الشمس في الغرب ؟ فقال الحاخام: لتقديم السلام والتحيّات للخالق (فالشكينا تقيم في الغرب).. فقال أنطونيوس: هل باستطاعة الشمس إذن

---

(1) Eusebius , Praep. Evang. IX , 18.

(2) Schürer , Geschichte des jüdischen Volkes II , S. 281.

الوصول إلى منتصف قبة السماء، فتقدّم السلام والتحيّات ثم تعيد الدخول من جديد (في كمها، وللشمس كم وفق رأي الماغاداه)؟ (فأجاب الحاخام: يُقال:) بسبب العامل والجوال ". يمكننا الربط ربما بين طلب إبراهيم من نمرود، للتدليل على ألوهية الأخير، تغيير مسار الشمس، وبين نص من سنهدرين 90 أ، يُطلب فيه من الناس عدم تصديق النبي الكاذب، الذي يعبد الأصنام، حتى لو أوقف بذاته الشمس وسط قبة السماء؛ يقول النص: «אם יאמר לך נביא עבור על דברי תורה שמע לו. חוץ מעבודה זכר.. שאפילו מעמיד לך חמה באמצע רקיע אל תשמע לו: حين يقول لك النبي: انتهك كلمات التوراة، فانصت له، إلا إذا طلب منك أن تعبد الأصنام فلا تنصت له، حتى لو استطاع هو ذاته إيقاف الشمس وسط قبة السماء».

على نحو مشابه لحديث القرآن، تتحدث الماغاداه التي تنتمي إلى زمن أكثر حداثة عن قصة اختبار إبراهيم لنمرود أيضاً؛ كذلك يبدو ان المدراش، الذي ينتمي إلى حقبة أقدم من الماغاداه المشار اليها آنفا، يعرف هذه الرواية. يقول تانا د.ب الياهو زوطا، ج 25: « וא"ל נמרוד לאברהם: וכי אין אתה יודע שאני אדון של כל המעשים והחמה והלבנה והכוכבים והמזלות ובני האדם. מלפני יוצאין כולו ואתה למה אבדת את יראתי ' ? באותה שעה נתן. הקב " ה בינה לאברהם ואמר לו אברהם לנמרוד: אדוני המלבי... מנהגו של עולם כך הוא: שמיום שנברא העולם ועד עכשיו היתה. החמה יוצאת במזרח ושוקעת במערב ילמחר תהא מצוה את, החמה שתצא ממערב ותשקע במזרח. ואז אני מעיד בך שאדון כל. המעשים אתה: قال نمرود لإبراهيم: ألا تعرف أني رب كل الأفعال، وأن الشمس والقمر والنجوم والكواكب والجنس البشري كلها من أجلي تأتي؟ وأنت، لماذا تطيح بجلالتي كرب معبود؟ فمنح الله إبراهيم البصيرة، وقال لنمرود: يا سيدي الملك... هكذا هي دورة العالم، فمنذ اليوم الذي خلق فيه

العالم، حتى الآن، الشمس تشرق من الشرق دائماً وتغرب في الغرب. أتود غداً إصدار أوامرك بأن تشرق الشمس من الغرب وتغرب في الشرق، عندها سأشهد لك أنك رب كل ما قد صنع...».

ويحسب مجموعة المدراشيم الصغيرة، تحرير هوروفيتس، ص 43 وما بعد، كان «على نمرود أن يجعل [الشمس] تشرق من وقت المغيب إلى الصباح[1]»[2]. لكن سنهدرين، ص 108 وما بعد، تقول، إن الشمس كانت أصلاً تشرق من الغرب وتغرب في الشرق، وقد غير الله ذلك منذ زمن جيل الخطيئة. إذن، فالرواية القرآنية تتقاطع للغاية مع مقابلاتها من النصوص اليهودية غير التوراتية.

---

[1] هذا ما يرد أيضاً عند يلنيك، بيت ها در اش، الجزء الثاني، ص 118، والجزء الخامس ص 40 وما بعد.

[2] الحكاية الشهيرة عن شجار إبراهيم مع أبيه أو مع نمرود، والتي تجعل إبراهيم يدعو منافسه إلى عبادة العنصر الأقوى - ليس النار، التي تطفأها المياه، ولا المياه التي تقاومها الأرض، ولا الأرض التي تضيئها الشمس إلخ (*أبوكاليبس أبراهام* ص 18 وما بعد؛ نجد تصوّراً مشابهاً في *سفر التكوين رابا* 19:38) - إنها ترجع إلى بابا بترا 10 أ، حيث: يتمّ الحديث عن "الأشياء العشرة القاسية، التي كانت ستخلق الجبل، الذي يعشره الجليد، الذي تذيبه النار، التي تطفئها المياه، التي تحملها الغيوم، التي تبدّدها الرياح، التي يقاومها البشر". من أجل موازيات هندية، قارن:

Indische Märchen , hrsg. Von John. Hertel , Jena 1921 , S. 58 f.

ويحسب هذه الفكرة ينادي الإله القدّوس... ويقول له تزوج ابنتي. لكن حارس العالم (الشمس)، الذي ينظر بعينيه كل شيء حدث، قال له: الغيوم، أيها الرجل المقدّس، أقوى مني. ... ينادي الراهب حجاب الغيوم، ويقول له: خذ ابنتي إليك! قال حجاب الغيوم: أقوى مني العاصفة... فقال الراهب للعاصفة: خذي أختي! لكن العاصفة أجابت: أيها المقدّس، أقوى مني الجبل... فنادى الراهب أحد الجبال، وقال له: خذ ابنتي! فقال الجبل: ... نحن لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا في وجه الفئران... فنادى الراهب المتخفي أحد السادة الفئران، وقال: خذ ابنتي! قال السّيد الفأر: ... كيف سأجلبها إلى جحري؟ إلخ".

إبراهيم يُنقذ من النار

السورة 21: 69 – 70 (2 مك): «قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين. ونجيناه ولوطاً إلى الأرض ما باركنا فيها للعالمين».

السورة 37: 97 – 99 (2 مك): «قالوا: ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين. وقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين».

إذن، بحسب القرآن، فالله بذاته هو الذي ينقذ إبراهيم من النار. وهكذا تروي أيضاً بساحيم 118 أ: «בשעה שהפיל נמרוד הרשע את אברהם אביה לתוך כבשן האש אמר גבריאל לפני הקב"ה: רבונו של עולם. עבד ואצנן ואציל את הצדיק מכבשן האש. אמר לו הקב"ה: אני חוך בעולם. נאה ליחיד להציל את חיחיד: عندما رمى نمرود أبانا إبراهيم في النار، قال الملك جبرائيل لله يا رب العالمين، أريد أن أنزل، فأبرد النار وأخلص الصالح من النار. فقال له الله: أنا في عالمي فريد، وهو في عالمه فريد؛ ويبدو أنّ الذي لديه الفرادة، هو الذي سيخلص الآخر الذي لديه الفرادة».

وبحسب *سفر التكوين راباه* 39: 3؛ 42: 11؛ 43: 6؛ 63: 2؛ و*سفر اللاويون راباه* 36: 4؛ و*تنحوما لسفر التكوين* 12: 1؛ 25: 19؛ *تنحوما لسفر الخروج* 29: 1؛ تانا د.ب. الياهو زوطا، القسم النهائي، كلّها تجعل الملائكة تلوم الله، لأنه يريد شخصياً إنقاذ إبراهيم.

وبحسب مجموعة *المداراشيم الصغيرة* لهوروفيتس، ص 43 وما بعد، تتشاجر الملائكة حول من سيسمح له بإنقاذ إبراهيم؛ أما في *معاسه ابرهام*، يلنيك، بيت ها مدراش I: 32، يأمر الله النار بكلمات القرآن، قائلاً: «קור

ושלוה על עבדי אברהם: يا نار كوني برداً وسلاماً على عبدي أبراهام». وبدلاً من נמרוד הרשע يُقال הכפור = كافر، وتتطابق אתה מן הכוזבים مع أنت من الكاذبين و אמר המגיד = قال لقائله[1].

يعرف المسيحيون هذه الحكاية أيضاً. فجيروم (Quaest.in.Gen.11,28 Und Comm.in Jes.zu Cap 65.8)

يعرف الحكاية، لا بل ويربطها مع حكاية أخرى، وتلك مسالة لا تعرفها المدراشيم التي أوردناها من قبل، حيث يقال إن عمر إبراهيم، الذي كان عمره وقت مغادرته حران خمسا وسبعين سنة تك 12: 4) [وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة، حين خرج من حران]، لا يعني عمره منذ ولد، بل منذ وقت إنقاذه من النار، حيث ينظر اليه، إذا جاز القول، كمولود من جديد. كذلك أيضاً، فإن أغسطينس(مدينة الله، 15 , xvi)، يوافق على هذا الافتراض، كما أن مؤرخي الكنيسة اليونانية يقدمون وصفا للحكاية[2] بل إن

[1] قارن : هيرشفيلد ديوان السموءل، 1931، ص 64.
تسمّي أبوت د. ر. ن. 33 الإغواءات العشرة التي تعرّض لها إبراهيم (أبوت 5:3)، إحداها لأور قسديم، لكنها لم تتحدّث عن ذلك تفصيليًا. في كتابه *حياة أبراهام*، ص 112، المقطع 136، يرجع بير أصل الأسطورة إلى سفر التكوين 7:15 [وقال له: أنا الربّ الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك] حيث يعتقد، أن قصّة دانيال والرجال الثلاثة في التنور، وبشكل خاص التعبير الموجود في *سفر دانيال* 1:3 בקעת דורא [سهل دورا]، اعطت السبب لنشوء الأسطورة. إن التشابه بين دورا דורא و أور אור (سواء من دور דור حزقيال 5:24 أو أنها مأخوذة عن الآرامية ד אורא) قريب إلى درجة أنه يمكن للمرء أن يقبل، أنّ إبراهيم، الذي ثار هو أيضاً في المنطقة ذاتها على عبادة الأوثان عند ملوك بابل، كان بانتظاره مصيراً مماثلاً. يشير بير (ص 115) إلى أصل فارسي للأسطورة.

[2] Michaelis, Spec. geogr. hebr. S. 112.

المسيحيين السريان يحددون في تقويمهم الكنسي يوما بعينه، هو الخامس والعشرون من كانون الثاني يناير، لتخليد ذكرى نجاة إبراهيم من النار.[1]

إذن، للحكاية القرآنية ما يماثلها في الدوائر المسيحيّة. لكن ما يلفت النظر فعلا، هو أن هذه القصة كانت متداولة بين اليهود بمثل تداولها بين المسيحيين، لكن الخط الرئيس فيها، المتعلق بالتجربة التي يتعرض لها إبراهيم، يبدو وكأنه من أصل يهودي، وهكذا يمكننا الاقتراح بتأثير يهودي على الأصل المسيحي للحكاية.

من ناحية أخرى، فالحكاية القرآنية التي تتحدث عن أخذ الله إبراهيم إلى فلسطين بعد أن خلصه من النار، تتقاطع بقوة مع نص من عدد راباه 2: 11 يقول: «כיון שהשליכו אותו לכבשן האש וקדש שמו של הקב " ה ועמד בנסיונו ; מיד קרבו הקב " ה לארץ ישראל. בנה לו את ה זן עוברים ושבים: ما أن تم إنقاذه (إبراهيم) من النار حيث تجاوز الامتحان، وقدس الله، حتى جاء به الله إلى فلسطين. وهناك، بني له نزلاً، فكان يطعم الذين يأتون من الدروب». كما أن الكلمات التي يقولها إبراهيم بحسب 37: 99، والتي تقول: «إني ذاهب إلى ربي»، تتماثل مع كلمات اليعازر، خادم إبراهيم في سفر التكوين (24: 56): שלחוני ואלכה לאדוני: [اصرفوني فأمضي إلى سيدي].

---

[1] انظر:

Hyde, Hist, rel. vet. Pers., Oxford, S. 73.

قارن:

Beer, Leben Abrahams, S. 113.

إبراهيم يصلي لأجل والده

السورة 114:9 (مد): " وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه 47:19 (2 مك): (قال (إبراهيم لأبيه): سلام عليك، سأستغفر، وبحسب 26: 86 – 87 (2 مك)، يصلي إبراهيم لربه، قائلا واغفر لأبي كان من الضالين. ولا تخزني يوم يبعثون[1] وبحسب 4:60 (مد)، يقول إبراهيم لوالده: " لأستغفرن لك وما أملك من الله شيئاً.

يشير غايغر، ص 123، إلى أن الأدب اليهودي لا يعرف شيئا عن استغفار ابراهيم لأبيه. وربما أن أمورا كهذه كانت متداولة بين المسيحيين، لكن فكرة «זכות אבות: أعطية الأب» تلعب في اليهودية ذلك الدور، بحيث أن تيراح ذاته، رغم أنه لا يحسب ضمن أباء الأرض المقدسة، فإنه بحسب الرأي اليهودي، يجب أن يدخل العالم الآخر(تكوين راباه 18:38). نعم، فالله يعد إبراهيم بذلك على نحو خاص (כתשרו שיש לאביו חלק לעו "ה). وربما أن آراء من هذا القبيل كانت متداولة في جزيرة العرب، خاصة الوعد الذي منح لإبراهيم، واعطي له بموجبه أبوه. لكن التعاليم المتعلقة بأعطية الأب، التي دائما تحظى بنوع من التأكيد في اليهودية، مرفوضة من محمد على نحو خاص انظر 2:126 (مد). ففي زمن المدينة، بحث القرآن عن شكل لإعادة تفسير، ما تم تقديمه في الحقبة المكيّة الثانية، حين كان إبراهيم يقدم

[1] "يوم يبعثون"، من أجل هذا التعبير، قارن : 100:23 ، 27: 66–67 و 144:37، التي هي من الحقبة المكيّة الثانية حيث الربط مع أسف الخاطئين، الذين يرغبون إذ جاءهم الموت أن يعودوا للحياة من جديد كي يعملوا عملاً صالحاً كانوا تركوه، مع عدوديّة البشر، الذين لا يعرفون الغيب ولا متى يبعثون، ومع يونس، الذي كان "لبث في بطنه (الحوت) إلى يوم يبعثون". في الحقبة المكيّة الثالثة نجد التعبير في 13:7 الشيطان يرجو تأجيل عذابه) وفي 16: 22– 21 (حيث الحديث عن الموتى)، نجد تعبير يوم يبعثون أيضاً في 56:30 (3 مك).

النصح لأبيه (86:26، 2 مك) بعد أن تم وضع الحدود بين الإسلام وغيره من الديانات، لم يعد ممكنا إضافة، أن يستغفر إبراهيم لأبيه، الذي كان عدوا لله.

إبراهيم يتخلى عن والده

السورة 114:9 (مد): «فلمّا تبيّن له أنه عدو الله تبرأ منه إبراهيم». قارن 19: 48 (2 مك) [قال إبراهيم لوالده: «واعتزلكم وما تدعون من دون الله»].

بحسب سفر اليوبيل 16:11 (Kautzsch , I , S .61)، يفترق إبراهيم عن والده حتى لا يتوجب عليه عبادة الأصنام معه، و على نحو مشابه، يفسر فيلو[1] ترك إبراهيم لأور على انه شجب للأسترولوجيا الكلدانية. وهذا التفسير يعتمده أيضاً سفر تكوين راباه 14:44. أمّا *أبوكاليبس أبراهام*، ص 20، فتقول بوضوح: «اترك أباك تيراح و اخرج من البيت، حتى لا تقع أنت أيضاً في خطايا بيت والدك». اليهودية المتأخرة، التي تعتبر تبجيل الوالدين (כבוד אב ואם) شريعة هامة، تجعل إبراهيم ينفصل عن والده في البداية بناء على أمر واضح من الله انظر: تكوين راباه 7:39: «היה אברהם אבינו מפחד ואומר: אצא ויהיו מחללין בי שם שמים ואומרים: הניח אביו והלך לו לעת זקנתו • אייל הקב " ה: לךיאני פוטרך מכבוד אב ואם : لقد وقع أبونا إبراهيم في مشكلة وقال: حين أترك والدي، فإن الاسم الالهي سوف تنتهك حرمته عبري، وسوف يقول الناس، لقد هجر والده العجوز وتركه مرذولاً. فقال له الله: اذهب، فأنا أقول لك إنك معفى من واجب تبجيل الوالدين». النص ذاته، يقول لاحقاً، إن

[1] Siegfried , Philo von Alexandria , Jena 1875 , S. 154.

إبراهيم، الذي شجب لوقت طويل عبادة والده للأوثان، لم يترك والده قبل ذلك، لأن الله لم يأمره بالمغادرة. من ناحيته، يروي جيروم[1] (Quaest , in Gen. h. 1)، أنّ تيراح مات قبل مغادرة إبراهيم مباشرة.

كلمات القرآن: «فلمّا تبيّن له أنه عدو لله» تتضمن أن إبراهيم تبرّأ من والده، بناء على معرفة مستقلة، أنه عدو لله. وهنا نجد شيئاً من التماثل مع التراث المسيحي، وكما أظهرنا، فقد كانت اليهوديّة زمن محمد، تعتبر شريعة تبجيل الوالدين هامة جداً، بحيث استطاع إبراهيم بتلك الكلمات التبرؤ من والده. لكن *سفر اليوبيل*، مثله مثل فيلو، لم يكن يلعب أي دور عند اليهود المتأخرين.

لوط يؤمن بأبراهيم

السورة 29: 26 (3 مك): «فآمن له لوط، وقال: إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم». إن مصطلح مهاجر يعني، ذلك الذي يهاجر من أجل الجهاد في سبيل الله انظر: 4: 100 (مد): [ومن يهاجر في سبيل الله...].

لابد من الإشارة إلى الرواية في سفر التكوين (13: 8 وما بعد)، التي تحكي عن افتراق لوط عن إبراهيم، وقد فهمت هذه الرواية ربما بان لوطا كان يرغب بالهجرة إلى المؤمنين به.

[1] انظر:

Beer, Leben Abrahams , S. 125.

الملائكة تزور إبراهيم

السورة 11: 69 - 73 (3 مك): «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى،[1] قالوا: سلاماً، قال: سلام؛ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أنّ أيديهم لا تصل اليه، نكرهم وأوجس منهم خيفة، قالوا: لا تخف، إنّا أرسلنا إلى قوم لوط. وامرأته قائمة، فضحكت، فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب. قالت: ياويلتي أألد وأنا إنسان عجوز وهذا بعلي شيخاً، إن هذا لشيء عجيب. قالوا: أتعجبين من أمر الله، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت».[2]

[1] تستخدم بشرى في الحقبة المكيّة الثانية في الإشارة إلى المظلة التي لن ينالوها (22:25)، بينا في موضع آخر يقال، إن "آيات القرآن وكتاب مبين" هي للمؤمنين "هدى وبشرى" (27 : 1–2). قارن : أشعيا 3:1. البشرى ذاتها، في الحقبة المكيّة الثالثة، تعني "الكتاب" (89 : 16)، أي القرآن (103 : 16)، الذي هو "تبياناً لكلّ شيء" (قارن : أبوت 22:5)، وهو "هدى"، "رحمة"، و "بشرى"، للمسلمين ! الوعد الذي تحمله الملائكة إلى إبراهيم، يسمى بشرى (11:72 ؛ 30:29)، والوارد الذي يرى يوسف في البئر، يصرخ : يا بشرى هذا غلامٌ! (19:12). البشرى سوف تعطي للذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله (17:39). البشرى سوف تكون للمؤمنين في الدنيا والآخرة (10: 63 - 64). يصدّق القرآن بلغة عربية "كتاب موسى"، الذي كان "إماماً" و "رحمة"، أمّا الوحي الجديد فهو "ينذر الذين ظلموا" و "بشرى للمحسنين" (17:46). في الحقبة المدنيّة تأتي بشرى في وقت مبكر كإشارة إلى القرآن (91:2)، وفي سياق الحديث عن حروب محمّد، يقال : "إنّي ممدكم بألف من الملائكة" (8 :9 - 10 قارن: 3: 120 – 122، حيث الحديث هنا عن 5000 ملك). يبدو بالفعل أن بشرى في بداية الحقبة المكيّة ترد جزئياً بمعنى انجيل المسيحي، وأحياناً تبدّل لتصبح بمعنى بشارة مثل בשורה أو בשרה (قارن : 2 صم 20:18، 27؛ 2 مل 9:7؛ انظر أيضاً: مدد رابا : 12:14 : הקב"ה מבשר בשורה טובה ؛ بيراخوت 9 ب: בשורות טובות שמועות רעות؛ لكنها بالمقابل لا ترد بمعنى בשר، أي جاء بالأخبار السيئة (مثلاً: 2 صم 17:4).

[2] ترجع إلى أهله، كما يقول هيرشفيلد، يمكن ربطها بأهل אהל العبرانية، التي تعني "خيمة". قارن:

Horovitz, Jewish proper names, S. 191.

في السورة 51: 24 وما بعد (أمك)، يسمّى ضيوف إبراهيم، «ضيف إبراهيم المكرمين»، وتقول تحيّة إبراهيم لهم: «سلام، قوم منكرون». وفي السورة 15: 51 – 60 (2 مك)، يبشر الملائكة إبراهيم «بغلام عليم». النص ذاته يحكي عن إشارة إبراهيم إلى تأخره في السن. ومن أجل إحضار العجل، يذهب إبراهيم إلى أهله 51 : 24 – 34 (1مك)[1] [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ 24 إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ 25 فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ 26 فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ 27 فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم 28 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ 29 قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ 30 قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ 31 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ 32 لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ 33 مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ 34 فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وعندما سمع عن نية الله إهلاك البلدة الآثمة، أشار إلى لوط، الذي يقطن هناك؛ 29: 31–32 (3 مك): [وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ 31 قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ 32].

الرواية التوراتية حول زيارة الملائكة لإبراهيم (تك 18 وما بعد)، تزينها الماغاداه بإضافات كثيرة. تقول بابا مصيعا 86 ب وما بعد، التي أشار اليها غايغر (ص 127)، في استشهاد تفصيلي بالحكاية، يأتي على النحو التالي: " ما الذي تعنيه [جملة] (تراءى الرب [لإبراهيم])، عند احتداد النهار (تك 18:1) ؟ لقد كان ذلك، في اليوم الثالث الذي أعقب ختن إبراهيم لذاته، حيث جاء الرب، ليستعلم عن أخباره. وقد جعل الرب الشمس تخرج عن

[1] ربما أنها من زمن أقدم. انظر: Nöldeke – Schwally I, S. 105.

مدارها، حتى لا يتوجب على ذلك الصديق (إبراهيم)مجاهدة المعجزات. مع ذلك، يرسل إبراهيم اليعيزر.

ويخرج هذا الأخير، ولا يجد أيا من (الغرباء الجوالين). لكن إبراهيم يقول له: لا اصدقك... فيخرج إبراهيم بذاته ويرى الرب واقفا على الباب... وحالما رأى الرب، أنه مضمد ومربط، قال: ليس من أعراف الأرض، أن تقف هنا. ولذلك يستذكر تك 2:18: فرفع عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون بالقرب منه. فلمّا رآهم، بادر إلى لقائهم في البداية، وقفوا فوقه، لكن ما أن رأوا أنه يعاني من الآلام، قالوا: ليس هذا من عرف الأرض، ما يحدث هنا. فمن كان الرجال الثلاثة ؟ لقد كانوا الملائكة ميخائيل وجبرائيل وروفائيل. لقد جاء ميخائيل، كي يجلب البشرى لسارة، وجاء روفائيل، كي يشفي إبراهيم، أما جبرائيل، فقد جاء لإنهاء سدوم ".

قارن أيضاً: تكوين راباه 9:48 אמר ר ' לוי: אחד נראה לו בדמות סדקי ואחד בדמות נוטי ואחד בדמות ערביי אמר: אם רואה אני ששכינה ממתנת עליהם אני יודע שהן בני אדם גדולים ואם אני רואה אותן חולקין כבוד אלו לאלו אני יודע שהן בני אדם מהוגנין: وقال الحاخام ليفي: ظهر (ملاك) له (إبراهيم) بصورة بائع خبز وآخر بصورة بحار والثالث في صورة عربي. فقال إبراهيم: عندما رأيت أن الشكينا تنتظركم، عرفت انكم رجال محترمون. وعندما رأيت أن واحدكم يبرهن عن الشرف للآخر، عرفت انكم من أصول نبيلة ". وقد لاحظ إبراهيم أن الأخير... الخ.

وهكذا، فالهاغاداه - قارن أيضاً: قدوشيم 32 ب -، كالقرآن، تؤكد أن إبراهيم لم يتعرف على الملائكة؛ وبوضوح أكثر، يصر أفراهاط، في الترتيلة XX (نشر Wright، ص 391)، على المسألة، " عندما رأى إبراهيم أولئك الملائكة، عاملهم وكأنهم أغراب، فجرى إليهم وارتجاهم، الذهاب إلى كوخه والاستراحة عنده، فهو بالتالي يريد الحصول على البركة باعتباره مضيفا

للغرباء. وكان يريد ان يعجب هؤلاء للغاية، من أنه، وهو الانسان المحترم، واضع ذاته وقمعها وترجاهم، للغرباء، كي يرتاحوا ويتوقفوا عنده. لذلك، كانت عند إبراهيم دائما، عادة أن يأخذ الغرباء اليه. وعندما رأى هؤلاء الغرباء، اعتقد أنهم غرباء فقراء، فركض إليهم، وأخذهم إليه كغرباء، فعظمتهم كانت عن عينيه مخفية.

في النص القرآني نجد أن الملائكة لم يلمسوا الطعام. وكون الملائكة يكتفون بالوقوف، كما لو أنهم يأكلون، نجده على نحو خاص عند يوسيفوس في عادياته، 11، 2، وفيلو (De Abrahamo , Cohn , & 118)، حيث يعتقد الاثنان بمعجزة أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب، رغم التصور بأنهم دعوا، كما لو أن الطعام معد لهم كي يتناولوه.. والشيء ذاته يزعمه سفر الجامعة راباه 17:3.

وبحسب عدد راباه 19:10 أرادت الملائكة أن لا تنتهك أعراف الضيوف وتأكل بالتالي عند إبراهيم. مع ذلك، فقد كانت الكلمة التي تشكروه بها: « אנו אין לפנינו אכילה ושתיה: الطعام والشراب ليسا من الأمور التي تخصنا» (تكوين راباه 12:48)، إذن، «في السماء لا يأكل الإنسان» (تكوين راباه 16:48 שאין אכילה ושתיה למעלה)؛ كذلك فالملك، الذي يظهر لوالد شمشون، لا يأكل أي شيء (قض 16:13)؛ على نحو مشابه، فمرافق طوبيا كان يأكل ويشرب ظاهريا ليس إلا (طو 19:12)، أمّا أفرام السرياني، فيقول، إن إبراهيم وضع أمام الملائكة طعاماً أرضيّا، لكن ليس كي يسكت جوعهم (. I68 E Opp). كذلك يزعم ثيودرتوس[1]، أن تقديم الطعام للملائكة مسألة ظاهريّة ليس إلا. ووفقاً لرأي محمّد، الذي كان عربيّاً، فإنّه لأمر مرفوض، أن لا يأكل ضيوف إبراهيم، إذا أظهر لهم الضيافة.

---

[1] Ginzberg , Haggada , MGWJ 1899 , S. 500.

بحسب القرآن، فإبراهيم يخاف من الملائكة. ويمكن أن نلاحظ شيئا كهذا في قصة شمشون في سفر القضاة (13:22 وما بعد). أمّا اندهاش سارة، من أنها امرأة عجوز ستحمل من جديد، وإشارة الملاك أن لاشيء صعب على الله، فتماثل بدقة رواية سفر التكوين 18:14 .

إذن، للرواية القرآنيّة بالتالي ما يماثلها عند اليهود أو المسيحيين.

الملائكة تسمّي عائلة إبراهيم أهل البيت. وفي القرآن يطلق على الكعبة التسمية « بيت »، الذي وضع أسسه إبراهيم واسمعيل (2:125 مد)، والذي يسمى أيضاً « مقام إبراهيم » (3:97 مد)، وكذلك « مكان البيت » (22:26 مد).

تشفع إبراهيم للمدن الآثمة

السورة 11: 74 - 75 (3 مك): « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ 74 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ 75 يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ» وفي الآية 29:31، تقول الملائكة لإبراهيم: «إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ 31» لكن إبراهيم يشير إلى لوط، بقوله: « إِنَّ فِيهَا لُوطًا» (29:32). قارن مع تك 18: 23 وما بعد [فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وقال: "أَحَقًّا تُهْلِك البارَّ مع الشِّرِّير؟]. من ناحية أخرى، فسفر التكوين 18: 18 - 19، الذي يقدم الرواية التوراتية لتشفع إبراهيم، يشير، كالقرآن، إلى الصفات الدينية الأخلاقيّة عند إبراهيم.

لكن ثمة فرق بين الرواية التوراتية وتلك القرآنية. ففي حين يتحدث إبراهيم فقط بشكل تعميمي، عن الصالحين في سدوم الذين يجب أن لا يذهبوا بجريرة الطالحين، سفر التكوين (18:24 وما بعد)، نجد إبراهيم في القرآن

يشفع إلى الله بان لا يدمّر المدينة الآثمة، لأن لوطا يقطنها. لكن الرواية الأخيرة تتناسب مع سفر التكوين راباه 25:49، حيث يفهم إبراهيم من عبارة « الصالحون العشرة » الذين هم بحسب رأيه موجودون في سدوم، عائلة لوط: ולמה עשה ? •. •שהיה סכור שיש שם עשרה: לוט ואשתו וד ' בנותיו וד ' חתניו: ولماذا عشرة ؟ أعتقد أنهم يمكن أن يكونوا موجودين في سدوم، أي لوط، زوجه، بناته الأربع واولاده بالتبني الأربعة في القرآن، يبدو التدمير الذي يقرره الله للمدن الآثمة كعقاب، يضرب به الله الآثمين، و «كأمر الله» الذي لا راد له (1:16، 3 مك؛ 38:33، مد). لا تستطيع الأوثان إفادة فرعون وقومه في شيء، «لما جاء أمر ربك» (101:11، 3 مك). وحين يصدر هذا الأمر، يقع حكم الله، ويضل الخاطئون (34:16؛ 74:40، 3 مك). في الجحيم يرغب الكفار أن يقبسوا من نور المؤمنين (هذا يعني أن المؤمنين سوف يحتفظون بمنافعهم). لكن على الكافرين أن يسمعوا، أنهم ارتابوا بالله، حتى جاء أمره، أي حتى حاق بالخاطئين العذاب المحدد لهم (12:57؛ مدنية وربما مكية[1]).

لوط يتشاجر مع قومه

السورة 26: 160 – 169 (2 مك): « إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ 161 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [2] 162 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ 163 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ 164 أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ

---

[1] يبدو أن الإسلام يرفض تعاليم "عطية الأب" اليهودية. انظر المصدر السابق، ص 114.

[2] بحسب الرأي المسيحي يبدو لوط كشخص صالح. انظر: رسالة بطرس الثانية 7:2:
Χαι δἰχαιον Λωτ χαταπονούμενον.

166 قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ 167 قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ 168 رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ 169». وبحسب 29: 28 - 29 «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ 28 أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ». قارن أيضاً: 14:38 [إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ]؛ و 54: 33 – 36 [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ 33 إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ 34 نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ 35 وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ] (2 مك).

إن تذكير لوط لقومه، ليس أصله الروايات التوراتيّة، بل هو تصور يهودي ـ مسيحي، يفهم منه أن مهمة الملائكة ليس فقط سحب لوط، من أجل إنقاذه، بل أيضاً نصح السادوميين بالتوبة. أنظر تكوين راباه: «מלמד שפתח להם המקום פתח של תשובה: تقول التعاليم: إن الله فتح لهم باب التوبة». أشياء مشابهة يقولها أفراهاط: وحاول (لوط) من خلال الملائكة أن يهدي السادوميين، لكن هؤلاء ظلوا على وقاحتهم فغرقوا وماتوا وأحرقوا بالنار والكبريت[1].

الإنذار القرآني، الذي يشير إلى العيب الذي كان السادوميّون يقترفونه (قارن تلك 5:19)، مشابه بالصدفة، بطريقة تعبيره، لتعابير رسل الله، في القرآن، حين ينذرون أقوامهم. فقد قال نوح لقومه: «ألا تتقون» (106:26، 2 مك)؛ وقالها أيضاً هود لقوم عاد (63:7، 3 مك؛ 124:26، 2 مك)؛ صالح لثمود (142:26، 2 مك)؛ شعيب لأهل مدين (177:26، 2 مك)، الله لليهود في سيناء (171:7، 3 مك)؛ الياس لقومه (124:37)؛ ومحمد

[1] Ginzberg, Haggada, MGWJ 1899, S, 501.

لأهل مكة (179:2، مد؛ 31:10، 3 مك: 52:16، ومك؛ 87:23، 2 مك).

ومن لوط، لا يتوقع نوح (72:10، 3 ك)، صالح (145:26)، شعيب (180:26)، ومحمد ذاته (95:25، 2 مك؛ 109:26، 2 مك؛ 47:34، 3 مك؛ 86:38، 2 مك)، أجرا عن الرسالة التي يبلغونها لهم، فأجرهم على الله وحده بالمقابل، تقول أبوت، 3:1، إنه يجب على المؤمنين أن لا يكونوا مثل الذين يخدمون السيد لرغبتهم بالأجر «אל תהיו כעבדים המשמשין את הרב על מנת לקבל פרס. לא היו כעבדים המשמשין את הרב שלא על מנת לקבל פרס ויהי מורא שמיל עליכם: لا تكونوا مثل الخدم الذين يخدمون سيدا، سعيا وراء الأجر، بل كونوا مثل الخدم، الذين يخدمون السيد ليس رغبة بالأجر، بل خوفاً من الله».

الرسل يأتون إلى لوط

السورة 15:61 - 64 (2 مك): « فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ 61 قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ 62 قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ 63 وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ 64». أما الملائكة الذين يظهر أنهم يقبلون دعوة إبراهيم مباشرة، فيرد عليهم، بالقول: إنكم قوم منكرون (24:51)، وبهذه الكلمات ذاتها يحيي إبراهيم ضيوفه، معتبرا انهم فقط جاءوا إلى لوط، كي ينقلوا له رسالة الله

ويحسب الرواية التوراتية (تك 19: 1 – 3)، فقد كان الملائكة بحاجة إلى إلحاح لوط، كي يدخلوا منزله. وهو ما قاد المدراش إلى الملاحظة التالية::

מכאן שמסרבין לקטן ואין מסרבין לגדול (بابا مصيعا 86 آ) شوفاني يقدم لنا أوريجانس تعاليم مماثلة[1].

إذن، هذه الحكاية المتعلقة بقبول الملائكة دعوة لوط لتناول الطعام تخرج عن حدود رواية التكوين 3:19، لكنها موجودة في مصادر أخرى.

خساسة السدوميين

السورة 11: 77 – 79 (3 مك): «ولمّا جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا، وقال: هذا يوم عصيب. وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات؛ قال: يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر[2] لكم، فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي؛ أليس منكم رجل رشيد. قالوا: قد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد».

---

(1) Ginzberg, Haggada, MGWJ 1899, S. 501.

(2) هنّ أطهر لكم. طهر هو مفهوم عبادي مثل טהר العبرانية. خلال الحقبة المكيّة الأولى (74:4) صدر الأمر لمحمّد: وثيابك فطهّر. قارن: تك 2:35 القرآن من صحف.. مطهّرة (80 : 13 – 14؛ قارن: 98:2). وحدهم المطهّرون يمسونه (79:56). في الفترة المكيّة الثانية (21:76) هنالك حديث عن شراب طهور، الذي يشربه الأبرار في الجنة، مثله أيضاً ماء طهور، الذي يرسله الله من السماء. إلى هذه الحقبة تنتمي أيضاً قصة قوم لوط، الذين زعموا، أن الملائكة لم تزرهم إلا لأنهم كانوا قوماً "يتطهرون" (57:27؛ قارن : 80:7). في الحقبة المدنيّة يتحدث القرآن عن أزواج مطهّرة، التي سيحصل عليها المؤمنون في الجنة (25:2، قارن 80:7)؛ كما كان على إبراهيم وإسماعيل "يطهرا" الكعبة (125:2؛ قارن: 27:22). تطهر تستخدم لتعيين حدود نجاسة النساء (222:2) و الطلاق (232:2). يرسل الله الماء من السماء على العرب، وهم يحاربون، حتى يطهرهم (11:8). مريم مطهرة ومصطفاة (42:3)، وفي الآية ذاتها نجد أن الله مطهر عيسى من الكافرين (55:3؛ قارن : حز 13:43) وكذلك أيضاً نساء النبي (33:33). إن تعابير مثل ذلك أطهر لكم غالباً ما ترد في هذا الزمن (مثلاً 13:58). يوجد رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحبّ منهم ذلك (108:9). على محمّد أن يأخذ من عرب الصحراء صدقة، من أجل أن تطهرهم (103:9). الله لم يرد أن يطهر قلوب اليهود (41:5). من أجل قواعد الطهارة؛ قارن :
Rivlin, Gesetz im Koran, Jerusalem 1943, S. 83 ff.

ويحسب 15:67 – 72 (2 مك) [وجاء أهل المدينة يستبشرون. قال: إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. قالوا: أولم ننهك عن العالمين. قال: هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون]، يوضح السدوميّون، أنهم منعوه عن استقبال الضيوف. كذلك يُقال هناك، إنهم كانوا سكارى[1].

أما السورة 27:

54– 56 (2 مك) [ولوطا إذ قال لقومه: أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون. انتم لتأتون الرجال شهوة دون النساء بل أنتم قوم تجهلون، فما كان جواب قومه إلا قالوا: أخرجوا آل لوط من قريتكم، إنهم أناس يتطهرون]، فتقول، إن سكان سدوم الذين كان يوبخهم لوط على لا أخلاقيتهم، يطلبون من عائلة لوط مغادرة المدينة.

قارن: ك 19: 4 – 9: [وقبل أن يضطجعا، إذ بأهل المدينة، أهل سدوم، قد أحاطوا بالمنزل، من الصبي إلى الشيخ، جميع القوم إلى آخرهم فنادوا لوطا قالوا له: أين الرجلان اللذان قدما إليك في هذه الليلة ؟ أخرجهما لكي نعرفهما. فخرج اليهم لوط إلى المدخل وأغلق الباب وراءه وقال: أسالكم ألا تفعلوا شرا، يا إخوتي ها أنذا لي ابنتان ما عرفتا رجلا: أخرجهما إليكم، فاصنعوا بهما ما حسن في أعينكم. وأما هذان الرجلان، فلا تفعلوا بهما شيئا، لأنهما دخلا تحت ظل سقفي، فقالوا: تنح من هنا! ثم قالوا: هذا رجل يتزل بنا فيقيم نفسه حاكما! الآن نفعل بك أسوأ مما نفعل بهما. وضيقوا على لوط وتقدموا ليكسروا الباب]. من الجدير بالملاحظة هنا، أن لوطا، مثل

---

(1) أبتوفيتسر جعلني يقظاً للنتيجة التي تقول، إن السدوميين كانوا سكارى، فكرة مأخوذة ربما عن حكاية أشير إليها في الماهاداه وقدّمها ترتوليانوس بالتفصيل، تقول إن دمار سدوم حدث أثناء أحد الأعراس. انظر:

(Festchrift zu Ad. Schwarz 80. מנחת בכורים Murmelstein in Geburgstag). S. 40.

معظم رسل الله في القرآن، يطلبون من القوم غير المؤمنين، أن يخشوا الله لكن الرواية التوراتية لا تذكر، أن الآثمين كانوا سكارى.

رسالة الملائكة

السورة 11: 80 – 81 [3 مك]: «قال (لوط): لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. قالوا: يا لوط إلا رسل ربك، لن يصلوا إليك، فأسر بأهلك بقطع من الليل لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنّه مصيبها ما أصابهم، إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب ؟»

أشياء مشابهة نجدها في السورة 29: 33 – 34 (3 مك): ولمّا أن جاءت ارسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعاً، وقالا: لا تخف ولا تحزن إلا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين. إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون، حيث تطمئن الملائكة لوطا وأهله بالقول: لا تخف ولا تحزن.

تقول السورة، 15: 65 – 66 (2 مك)، [فأسر باهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم و لا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون. وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين]، إنه على لوط وأهله أن يمضوا إلى حيث يؤمرون، ولا يلتفت أحد منهم إلى الوراء كي لا يكون مع أولئك الآثمين الذين سيقضي عليهم عند الصباح

في حين، بحسب الرواية القرآنية، على لوط مغادرة المدينة في الليل الأكثر ظلمة، بقطع من الليل، فإنه في سفر التكوين (15: 19): [فلما طلع الفجر، ألح الملاكان على لوط قائلين: قم فخذ امرأتك وابنتيك الموجودتين هنا]، يغادرها عند طلوع الفجر. مع ذلك، ففي سفر الخروج (בחצי הלילה 12 :29)، [فلما كان نصف الليل، ضرب الرب كل بكر في أرض مصر، نجد

أن اليهود يتركون مصر عند منتصف الليل؛ قارن أيضاً من السفر ذاته الآيتين 31 و 42. لكن سفر الخروج راباه (7: 18)، يمزج تدمير سدوم بالخروج من مصر: כשם שהפך סדום בלילה כך הרג בכורי מצרים בלילה:

من الممكن أيضاً أن نربط بين «ليس صباح بقريبين»، وسؤال الحارس وجوابه في سفر أشعيا 21: 11 – 12 [•• • מה מלילה• • •אתא בקר וגם לילה: يا حارس، ما الوقت من الليل ؟ فقال الحارس: الصباح آت والليل أيضاً]. وبحسب سفر الخروج راباه 9: 18 على «ليل الملاحظات»، أي ليل الخروج من مصر، فإنه ليس الليل الذي يحدث فيه حزقيال ودانيال ورفاقهم المعجزة فقط، بل هو أيضاً الليل الذي يظهر المشيح فيه ذاته، كما يمكن أن نستنتج من الآية الواردة عند أشعياء المذكورة أنفا.

تدمير المدينة والآثمين

السورة 54: 37 – 38 (2 مك): «ولقد راودوه عن ضيفه، فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر. ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر».

السورة 11: 82 – 83 (3 مك): «فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود. مسومة عند ربك».قارن: 66: 15: [وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطع مصبحين)؛ 74: 15 [فجعلنا عاليها سافلها و أمطرنا عليهم حجارة من سجيل؛ 26: 172 173 [ثم دمرنا الآخرين. وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين]؛ 58: 27 [وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين] 136: 37 [ثم دمّرنا الآخرين. وتقول الآية 34: 54 (2 مك)، [إنا أرسلنا عليهم حاصبا، إن الله أرسل على المدينة حاصبا. لكن الله يترك في المدينة «آية للذين يخافون العذاب الأليم» (37: 51؛ 1 مك). قارن أيضاً 35: 41 (3 مك). وبحسب 71: 21 (2

مك)، ينجي الله لوطا «إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين». إن أفول السدوميين تصفه الآية 73: 15، بكلمات: فأخذتهم الصيحة مشرقين.

وكما في سفر التكوين 11: 19، كذلك في القرآن الكريم يضرب العمى السدوميين. والعذاب الذي يحل في الصباح، بالنسبة للقرآن الكريم، هو أمر الله، الذي يبدو محتوما. كذلك فإن - اجتياح طوفان الخطيئة، في الآية 40: 11 (3 مك)، يستهل بكلمات: حتى إذا جاء أمرنا

سوف يتم تعذيب السدوميين بحجارة من سجّيل، والتي يمكن مقارنتها مع אבנים גדולות [حجارة ضخمة (من السماء)]، التي يرمي بها الملوك المنهزمون، بحسب يش 11: 10. وبحسب تك 24:19، فإن سدوم تطحن بالكبريت ومطر النار[1] [وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء). عن المطر الناري، يتحدث أيضاً فيلو (De Abrahamo, Cohn, § 138ff)؛ أما يوسيفوس، Bell, Jud. IV, § 483f، فيعتبر أن سدوم احترقت بالبرق، كما أنه يتحدث في عادياته، 11، 4 عن قذائف من نار(Xaí)

يحذر محمد المكيين غير المؤمنين به بالحاصب أيضاً (68:17 [أو يرسل عليكم حاصباً]؛ 17:67 [أن يرسل عليكم حاصباً).

لكن سدوم وعمورة المدمرتين - لا تذكر أي منهما بالاسم في القرآن، بل يشار إليهما دائما بتعبير «المؤتفكة»، وهي تسمية يقارنها هيرشفيلد[2] مع مصطلح מהפכה، الذي يطلق في العهد القديم على سدوم وعمورة بعد تدميرهما[3] - تظهران «كآية لله» لمن يخشى عذاب الله. لأجل ذلك، قارن:

[1] إضافة إلى السجيل، قارن : Horovitz, K. U., S. 11.

[2] Beiträge, S. 37.

[3] من أجل هذه الكلمة، قارن:

Horovitz, Jewish proper names, S. 187.

فيلو (De Abraham , Cohn, § 141ff): «إشارة أكثر وضوحاً على ذلك، حيث يمكن أن نرى هناك: آية تذكر بالكارثة التي حدثت، حيث الكبريت والدخان المتصاعد أبدا، الذي يمكن التفتيش عنه هناك. لكن كدليل اساسي واضح حول الحالة السعيدة القديمة التي كانت تعيشها الأرض، ثمّة مدينة في الجوار تتمدد بقاياها في المناطق المحيطة والمدينة يقطنها كثير من الناس، ومنطقتها غنيّة الطعام والحبوب والثمار عموماً، للبرهان على أن العقاب على أولئك يفرض عبر الحكم الإلهي (على أولئك)». وبحسب يوسيفوس، Bell , Jud. IV, § 483، نجد آثار النيران التي أرسلت من السماء موجودة حتى الآن. وفي سفر الحكمة، يقال: «فهي (الحكمة التي عرفت البار، وصانته بلا عيبٍ أمام الله، وحفظته أقوى من حنانه لولده. وهي التي أنقذت البار لما هلك الكافرون، وكان 10: 6-7 هابطا من النار الهابطة، على المدن الخمسة. ولا تزال هناك للشهادة على شرهم، أرض مقفرة يسطع منها دخان، ونبات يثمر ثمرا لا ينضج في أوانه، وعمود من ملح قائم تذكارا لنفس لم تؤمن».

يظهر في القرآن أيضاً أن «الآية» تشكل نوعا من التأكيد على إرسال رسل الله والعقاب يتماثل بالتالي مع هذه الآية غالبا. من مثل تلك الآية على الأجيال القادمة أن تتعلم أيضاً. وهكذا كان العذاب، الذي أحاق بقوم لوط، «الناس آية» (37:25، 2 مك) أو «القوم يعقلون» (35:29، 3 مك). يترك الله سفينة نوح كآية (15:54، 2 مك). كما أن الطفل الذي ولد لإبراهيم وهو في سن متأخرة لابد أن يكون آية للأجيال التي جاءت بعده (21:19، 2 مك)؛ على النحو ذاته يتم التعامل مع نجاة فرعون (92:10، 2 مك)، زكريا و أمه (91:21، مد)، وأعجوبة الذين ناموا لزمن طويل (259:2، مد) يمكن أن نجد ما يماثل هذه القصة في التراث اليهودي وهي المسماة بحوني.

من هنا نفهم، كيف أن المكيين يطلبون من محمد اية كهذه، حتى يكون باستطاعتهم التأكد من رسالته (37:7، 3 مك)، مع أنه كان باستطاعة الله جعلهم مؤمنين من خلال آية (4:26، 2 مك).

لكن الصيحة أخذت السدوميين، عندما حاق بهم العذاب، مثلما أخذت قوم صالح (67:11، 3 مك)، وفرعون وهامان و قارون (40: 29، 3 مك)، وشعب الحجر (83: 15، 2 مك)، وشعب آخر، لا يذكر القرآن اسمه (41:23، 2 مك).

زوجة لوط

السورة 57:27. 1 قارن: (2 مك): «فأنجيناه (لوط) وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين». قارن 60:15: [إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين[1]]؛ 171:26: [إلا عجوزا في الغابرين[2]] 135:37: [إلا عجوزا في الغابرين (2 مك).

سوف تلقي زوج لوط، كما تقول نبوءة الملائكة، ما سيلقاه الآخرون من سكان سدوم: سيصيبها ما أصابهم. انظر: 83:11 (3مك): إلا امرأتك، مصيبها ما أصابهم]؛ 10:66 (مد): [ضرب الله مثلا للذين كفروا إمرأة نوح

---

[1] من غير الممكن أن 33:29؛ 37:51 تعني، أن زوجة لوط المتحوّلة تظل آية لمن بعدها. مع ذلك، فالحكاية اليهوديّة تزعم أنّ عمود الملح الذي تحوّلت إليه زوجة لوط ما يزال موجوداً حتى الآن. انظر: והיא היא קיימא עמוד דמלח ! (ترجوم تكوين 26: 19). قارن أيضاً: رسالة تنّا التلموديّة 70 ب. انظر أيضاً: حكمة سليمان، 10:7؛ نشر كارش 493:I؛ انظر أيضاً:
Rappaport, Agada und Exegese bei Fl. Josefus, 106 Anm. 99

[2] غالباً ما يضاف إلى اسم زوجة لوط، كما هي الحال هنا، تعبير: في الغابرين. يعتقد شبرنغر (المجلد الأول، ص 493، القسم 1) أن أصل هذه الكلمة هو كلمة عبر עבר الآراميّة (أو العبريّة) التي تعني "يكسر الحدود".

وامرأة لوط، حيث تذكر زوج لوط بجانب زوج نوح، فالاثنتان تمثلان زوجين كافرتين لرجلين صالحين. بالمقابل، فسفر التكوين 26:19 [فالتفتت امرأة لوط وراءها اسارت نصب ملح)، يتحدث هو أيضاً عن السلوك العنيد لزوج لوط. كما يورد غرينابوم[1] مواضع هاغاديّة، تقول إن زوج لوط لم تكن أفضل من باقي سكان سدوم وعندما حضر الملائكة، طلبت ملحا من الجيران، وكان السدوميون معروفين بذلك حين يأتيهم ضيوف. ويذكر غرينباوم[2] أيضاً أسماء لمؤلفين سريان، يقولون إن زوج لوط كانت اخت ملك سدوم وكان أهل بيت أبيها مغرمين بها للغاية، وهؤلاء أيضاً لم يكونوا يريدون أن يؤمنوا بتدمير سدوم المعلن.

يجب ان يكون إبراهيم مسلماً

السورة 131:2 (مد): «إذ قال لربه اسلم، قال: اسلمت لله' رب العالمين[3] 1 من جانبها، توضح ملكة سبها بكلمة أسلمت، خضوعها لإرادة

---

[1] Neue Beiträge , S. 134.

[2] المرجع السابق، ص 145.

[3] أن تعبير فلما أسلما الذي يقال عن إبراهيم وإسماعيل، إنما يعني فقط : "أسلما ذاتيهما لإرادة الله" وتدريجياً راحت كلمة أسلم تعني "اعتنق الإسلام ظاهريا". لكن ليدتسبلرسكي اعاد ترجمة هذه الكلمة لتعني، "يدخل في حالة سلام". انظر :

ZS I, S, 86.

بالمقابل فإن هورروفيتس يعتبر أن المعنى الأساسي هو "تسليم الذات". انظر:

K. U. , S. 55.

هذا المعنى مأخوذ عن الأرامية. قارن : השלם عزرا 19:7، دانيال 26:5، انظر أيضاً : בא והשלים עצמו לקדוש ברוך הוא וקב לעין עול מלכות שמים (تنحوما، تحرير بوبر، ص 36). إن الكلمات الأساسية التي تأخذها نحن بعين الاعتبار يمكن أن تكون موجودة فقط باللغة الأرامية : واشلم

الله، الذي لابد أن تعترف بقوته (44:27، 2 ك [رب إني ظلمت نفسي واسلمت])؛ مثلها مثل محمد ذاته، الذي يحاججه أهل الكتاب، والذي كان لابد أن يطلب منهم دخول الإسلام (19:3، مد فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله]).

و من الجدير بالذكر هنا، أن الطلب المختصر اسلم، لا يتماشى الا مع إبراهيم، والذي هو كمؤسس للكعبة، كان أيضاً، أول من اعترف أنه مؤمن بالله.[1]

إبراهيم يؤسس الكعبة

السورة 2: 127 – 129 (مد): «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت[2] ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمّة مسلمة[3] لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

تشبيه لقديشا بريخ هو «אשלם נפשיה לקדישא בריך הוא»، وعله قريبة جداً من التعبير العربي: أسلم لربّ العالمين (هوروفيتس، المصدر السابق) من أجل التعبير "أسلم": انظر أيضاً:
Ahrens, Muhammed als Religionsstifter, 1935, S. 112.

(1) المرقاة السامريّة أيضاً تسمّى إبراهيم: أوّل المؤمنين في العالم.

(2) تسمي الملائكة عائلة إبراهيم «أهل البيت» (73:11، 3 مك). الكعبة تسمي أيضاً «البيت العتيق» (22: 29، مد) و «البيت المعمور» (52: 4، 1 مك)، والذي هو «كمقام لإبراهيم» جعل مثابة للناس (125:2). الله يسمّى (106:3 ، 1 مك)، رإذ هذا البيت. «البيت» هو هدف رحلة الحج (158:2). البيت هي كلمة عربيّة الأصل. انظر:
Rivlin, Gesetz im Koran, Jerusalem 1934, S. 26.

(3) قارن. 40:14 (3 مك). لأن ذريّة إبراهيم لا تسلم لله، فإنهم لا ينالون عهده (124:2)، مع ذلك فإن كثيرين منهم يهدون إلى صراط مستقيم (87:6، 3 مك). كذلك ثمة أمل في ذريّة لوط (29: 27، 3 مك). المسلم الصالح يصلي كي يرزق ذريّة صالحة، مؤمنة. هكذا فعل زكريّا (3: 38، مد). إن اللذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، تلحق بهم ذريتهم في الجنة، وسوف توازى الأعمال الصالحة بين الجميع (52 : 21، 1 مك).

الرحيم. ربنا من فيهم رسولاً[1] منهم يتلوا عليهم آياتك[2] ويعلمهم الكتاب والحكمة. وتقول، 22 23 24 (مد) ابراهيم يظهر على نحو خاص الهدف من

---

[1] (246:2) يطلب بني إسرائيل : ابعث لنا ملكاً.

[2] في الحقبة المكيّة الأولى ترد تلا بمعنى "قرأ" في سياق الحديث عن آثم مجهول الاسم، الذي حين تتلى عليه "آيات" الله، أي العجائب السابقة، قال : "أساطير الأولين" (15:68. شين 68:37 إلى نوع من التداول لكتابات متوارثة، حيث يُقال للعرب، الذين كان محمّد يحمل إليهم كتاباً موحى به : أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ أساطير الأولين بالتالي هي جزء من الأدب الموحي به: لأهل الكتاب".

خلال الحقبة المكيّة الثانية (3:37)، نجد حديثاً عن الملائكة الذين يتلون الذكر، وحين نأخذ 4:37 و 5:37 معاً، نصادف نوعاً من الشهادة، بأن لا إله الا الله ربّ السموات والأرض، وهو ما يذكرنا بالتسبيح الإلهي في الصلوات الثماني عشر. من هذا الزمن أيضاً نصادف تلا ذات العلاقة بحكايا كتابيّة متناقلة تقليدياً. هذا ما نجده في 69:26 : "واتلُ عليهم نبأ إبراهيم". حين تتلى "آيات الرحمن"، (قارن : تث 22:6، 2:29؛ متي 16: 4)، أي عجائب التاريخ، على أنبياء الله ورسله السابقين، كانوا يخرون سجداً باكين (58:19). من الزمان ذاته يأتي التصوّر، بأن الذين " أوتوا العلم "، حين يتلى القرآن عليهم، يخرون للأذقان سجداً، ويقولون سبحان ربّنا إن وعده كان مفعولا (17 : 107 – 109). ومن أجل أن يقرأ هذا الكتاب الموحى به بسهولة ورويّة، تمّ إنزاله مفرقاً (107:7 – فرقناه لتقرأه. قارن : פרקים). هذا يمكن أن يقودنا مع هوروفيس (بحوث قرآنية، ص70) إلى نتيجة مفادها، أن جمع القرآن لم يكن وقتها قد تمّ الانتهاء منه، بحيث كان لا بدّ في كل مرّة من تلاوته مفرقاً، وهو ما يذكرنا برسالة غطين 60 أ: מגלה מגלה נתנה من هنا، ثمّة نوع من التلاقي بين نمط القراءة المفرقة للقرآن، وقراءة اليهود المقطع للتوراة (פרשה)، على محمد أيضاً أن يتلو كتاب الله، الذي "لا مبدل لكلماته" (18: 27).

خلال الحقبة المكيّة الثالثة في نقاش محمّد مع معارضيه يتمّ استخدام صيغ حادة، يردّ بها على الكذاب الكافر، الذي، حين يسمع "آيات الله" تتلى عليه يُصرّ مستكبراً، كما لو أنه لم يسمعها (8:45) بل إن

الكافرين يعترضون، حين كانت " آيات بينات" ، تتلى على مسامعهم ، قائلين: "ائْتُوا بِآبَائِنَا" (25:45)، هؤلاء الكفار أيضاً يشيحون بوجوههم بحدّة عنه ، "الذي كان على بينة من ربّه ويتلوه [القرآن] شاهد منه ومن قبله كتاب موسى" (17:11) ، يتلو الله على محمّد قصة موسى وفرعون (3:28) . على أية حال ، يحمي محمّد ذاته من ملاحظة محتملة من قبل أهل الكتاب بأن تقاليده الكتابيّة غالباً ما تحمل طابع سوء الفهم، بأنه لم يكن حين أعطي موسى الوصايا على سيناء (44:28) ، وما كان ثاوياً في أهل مدين يتلو عليهم "الآيات" (45:28). لكن أهل الكتاب يشهدون على كون الوحي الجديد يتطابق مع القديم ، حيث يقولون، حين يتلى القرآن : "آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا" 28: 52 – 53 . في جهنم سيأل الكفار: "ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم" (71: 39). محمد ذاته يسأ: "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ" (45:29) ، يجب عليه الاعتقاد بأن ما أنزل إلى أهل الكتاب وما أنزل إليه واحد (46:29)، لكن محمّد لم يكن يتلو من قبل الكتاب المنزل من كتاب ولا يخطه بيده اليمنى حتى لا يرتاب المبطلون ، بل "هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم" (29: 47– 48) وعلى سؤال الكافرين ، " لولا أنزل عليه آيات من ربّه" (50:29)، نجد الجواب القائل ، "أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ" (51:29) . كان طلب قومه ، "ائت بقرآن غير هذا أو بدّله" (15:10) ، وهو ما يرّد عليه بالقول، " لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به" (16:10) . يعطي محمّد النص التالي: "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا" (61:10) . في هذا الزمن يطلب من محمّد، أن يتلو قصّة نوح (71:10) . يتلو عليهم "آيات بينات"، فيقول قومه، "ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم"، أو أنهم نظروا إلى التعاليم الجديدة على أنها كذب أو سحر (43:10) . لكن العرب لم يؤتوا كتباً يدرسونها ولا ارسل عليهم نذيراً (44:34). أما الذين يتلون "كتاب الله" ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فسوف يوفون أجورهم ويزاد من فضله (29:35) الكفار يقولون عما يتلى عليهم من آيات إنه سحر (7:46). مع نهاية الحقبة المكية الثالثة يتمّ تقديم تصوّر الديكالوغ بالكلمات التالية : "تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ" (6: 150).

بناء بيت الكعبة« وإذ بوانا لإبراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي[1] شيئاً، وطهر بيتي للطائفين، و القائمين والركع السجود وادن في الناس بالحج يأتوك رجالا او على كل ضامر يأتين من كل فج عميق أو شهدوا منافع لهم وذروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من أزمة الأمام، فكلوا منها واطعموا البائس الفقر، وفي 96:3 (مد)، وسمي «مقام[2] إبراهيم» أول بيت وضع للناس وهو مبارك.

قارن: سفر اليوبيل 22:24 وما بعد (Kautzsch II, S78)، حيث يقول إبراهيم ليعقوب، قبل موته، «لقد بنيت هذا البيت لي، بحيث يبقى اسمي في الأرض، التي أعطيت لك ولبديك إلى الأبد، وسوف يسمى بيت

ترد تلا في الحقبة المدينية ضمن التوبيخ الموجّه لليهود: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ" (2: 44 ؛ قارن : متى 23: 2 وما بعد) . في الآية 2 : 121 نجد كلاماً عن الذين أعطاهم الله الكتاب، وهم يتلونه حق تلاوته. اليهود والمسيحيون، يحاربون بعضهم بعضاً، والطرفان يتلون الكتاب (113:2) . محمّد هو رسول الله، الذي "تلو صحفاً مطهرة" (2:98) . وهو ينتمي إلى الأمين، (אמות העולם) من أجل هذه الكلمة انظر : هوروفيتس، دراسات قرآنية ، ص 52) ، كي يتلو عليهم "آياته" (63: 2)، حين تتلى هذه الآيات على المؤمنين يزداد إيمانهم (8: 2) . وليس باستطاعتهم من ثم أن يكفروا (3: 100) . يطلب من اليهود : "فأتوا ويزكيهم" بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقون" (93:3)، من أهل الكتاب جماعة يتلون "آيات الله" أثناء الليل (3: 113). تأتي تلا في 4: 127 كتعبير عن الحدود في ما يتلى من الكتاب. الذكر بالنسبة للمؤمنين هو "آيات الله مبينات" يتلوها الرسول (65: 11). عند تلاوة كهذه تبدو وجوه الكفار متعضة، ويجبرون الهجوم على الذين يتلون عليهم (22: 72). أمّا قصّة قابيل وهابيل فتستهل كلمات، تقول : "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ" (5: 27).

[1] لا تشرك بالله يحذر بها لقمان ابنه (12:31 ، 3 ملك)، وكذلك فالديكالوغ القرآنية تأمر: لا تشرك به شيئاً.

[2] تشير مقام أيضاً الى مكان عدد سيكون لكل إنسان في عالم الماوراء (37: 164؛ 44: 51؛ 2 مل) من أجل مقام מקום كمكان للصلاة؛ قارن بير اخوت 6 ب: כל הקבע מקום לתפלתו אלהי אברהם יהיה בעזרו (כשמת אומרין עליו : אי חסיד. אי עניו מתלמידיו של אברהם אבינו : ما نحن نعين مكاناً للمصلي لك، الذي يقف بجانب إله إبراهيم، وحين يموت، يقول له المرء: أيها المتواضع، أيها الصالح من بين تلاميذ أبينا إبراهيم، يمكن تبين أنّ إبراهيم عين مكاناً للصلاة، من التكوين 27:19.

إبراهيم سوف اعطى لك ولبنيك إلى الأبد، وسوف نبني بيتي و نضع اسمي امام الله» بالنسبة لآراء الباحثين الغربيين، فإن سميث[1]يرى عبر تصور تأسيس ابراهيم الكعبة، تداعيات مع بناء ابراهيم ذاته، بحسب التكوين، لمذبح الرب[2]، لكن غريمه[3]، من ناحيته، يرى في المسألة شكل مناورة مقصودة. أمّا رودلف[4]، فيشير إلى المسيحيين العرب، الذين التمسوا العذر في تبجيلهم الكعبة [5]بعد اعتناقهم المسيحية، وهو ما قد يكون ربما أساس هذا التصوّر: على أيّة حال، فالرأي المتعلق بإبراهيم باعتباره أبا المؤمنين المستقبليين (روما 11:4 وما بعد) [ثُمَّ نالَ الخِتانَ علامةً وبُرهاناً على أنَّ اللهَ بَرَّرَهُ لإيمانِهِ قَبلَ خِتانِهِ، فصارَ إبراهيمُ أباً لِجميعِ الَّذينَ يُبرِّرُهمُ اللهُ لإيمانِهِم مِنْ غَيرِ المَختونينَ] هو رأي مسيحي. لكن المسيح يرفض، بحسب متى 9:3، رأي الفريسيين والصدوقيين الذي يشيرون فيه إلى إبراهيم كأب لهم. لكن رسالة روما 16:4 وما بعد، تتحدّث عن «إيمان إبراهيم»، الذي هو «أب لنا جميعاً»، والذي هو «أب لأمم كثيرة»، (قارن تلك 5:17)، لم يكن ضعيف الإيمان (قارن تك 17:17)، فقد صدّق وعد الملاك له ولسارة وهما اللذان كانا عجوزين (رو 4: 19-20). وهكذا فالمسيحيّة أعطت لإبراهيم، كما

(1) Bible and Islam, London 1897, S. 40.

(2) بحسب بير اخوت، حيث يشير ريفلين، الحدود في القرآن، ص 24، المقطع 1، أن إبراهيم رأى الهيكل، لكنه لم يبنه.

(3) Die Abhängigkeit des Qorans von Judentum und Christentum, Stuttgart 1922, S. 46.

(4) Mohammed I, S. 60.

(5) انظر أيضاً:

Nöldeke - Schwally I, S. 147 ; Ahrens, Muhammed als Religionsstifter, 1935, S. 190.

اليهودية، مكانة كبيرة، فهي تسميه كما آباء الأرض المقدسة الآخرين אבינו أباً.

سوف يرى إبراهيم كيف يحيي الله الموتى

السورة 260:2 (مد): «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا».

يشكّل الإيمان بقيامة الموتى عقيدة هامّة عند محمد، وهي العقيدة التي تلعب دوراً كبيراً في المسيحيّة (قارن: متى 22 :31، مرقص 25:12: يوحنا 25:5؛ أعمال الرسل 8:26، روما 17:4؛ 1 كو 16:15؛ عبرانيون 19:11؛ ومواضع أخرى كثيرة) واليهوديّة (תחיית המתים). ومن خلالها أوضح لأتباعه من خلال حكايا كتابيّة مختلفة مناسبة التعاليم المتعلقة بعودة الحياة واضحة لأتباعه، وهكذا عبر التضحية بالبقرة الصفراء، بجسدها القتيل، الذي لا يعرف قاتله، والذي كان سيضرب، والذي من خلاله، كما يبدو لنا، تم القبول بمسألة العودة الجديدة إلى الحياة (73:2؛ مد)، مثل ذلك حكاية خلق طير ما من خلال الصوت عبر عيسى. في سفر التكوين 15: 9-11، ترد الحكاية التالية: «فقال له [الله] خُذْ لي عِجلَةً في سَنَتِها الثَّالِثة وعَنزَةً في سَنَتِها الثَّالِثة وكَبْشًا في سَنَتِه الثَّالِثة ويَمامةً وجَوزَلاً. فأَخَذَ لَه جَميعَ هذه وشطرَها أَنصافًا، ثُمَّ جَعَلَ كُلَّ شَطرٍ قُبالَةَ الآخَر، والطَّائِران لم يَشطُرْهُما. فانقَضَّتِ الجَوارِحُ على الجُثَث، فطَرَدَها أَبْرام»؛ وعلى الأرجح هنا، أنّ إعادة الترتيب الذي نجده في القرآن للقصة السابقة في سفر التكوين، لا يتمّ عبر إظهار لحكاية تمّ سماعها من اليهود أو المسيحيين، بل عبر الاعتبار، أنّ إبراهيم لم يقطّع الطيور إلا ليظهر، كيف يستطيع الله إعادة الموتى إلى الحياة. والواقع أنّ

عالم الأساطير اليهودي أو المسيحي لا يعرفان إضافات كهذه على الحكاية الكتابيّة.

وببساطة يمكن القول، إن ثمة حكاية تلموديّة خيالية من *بابا بترا* 74ب معروفة من قبلي، يمكن الاستشهاد بها تتحدّث عن حجر كريم تحيط به أفعى. يعضّ حاخام رأس الأفعى فيتغضّن الحجر الكريم وتعود هي بالتالي إلى الحياة. لكن لا علاقة لهذه الحكاية التلموديّة بالقصة القرآنية.

الله في القرآن هو «محيي الموتى»: (50:30؛ 39:41؛ 9:42؛ 33:46؛ 40:75)، والمواضع الأنفة الذكر يمكن مقارنتها مع العهد الجديد ومع سفر صموئيل الأول، 6:2، الرب يحيي ويميت «ومحيي الموتى» تتطابق أيضاً مع تعبير في الليتورجيا اليهوديّة מחייה המתים، والذي هو مشهور جداً كأحد أسماء الله (في البركات الثماني عشرة).

إبراهيم يطلب ابناً

السورة 100:37 (2 مك): «[قال إبراهيم الله]: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ». قارن: تك 15: 2 وما بعد: [فقال أبرام: أيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، ماذا تُعطيني؟ إنّي مُنْصَرِفٌ عَقيماً، وقَيِّمُ بَيتي هو اليعازَرُ الدِّمَشْقيّ. وقالَ أبْرام: إنَّكَ لَم تَرزُقْني نَسْلاً...].

على نحو مشابه لإبراهيم، الذي يرجو الله «هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ»، كذلك يصلي زكريا، (38:3): «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً». وبحسب 74:25، يقول الذين يجزون: «هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ».

إبراهيم يضحي بابنه

السورة (37: 102 – 107، 2 مك): «فلمّا بلغ معه (اسحق) السعي، قال (إبراهيم): يا بني، إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى! قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلمّا أسْلَمَا وتلّهُ للجَبين. وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ».

الولد، الذي كان على إبراهيم أن يضحّي به، ليس كما يقول، تك 22 اسحق، بل كما يظهر من السورة 112:37، اسمعيل. من أجل الروايات المتعلقة باسمعيل، يستشهد غايغر ص 134، بسفري التكوين راباه 38 وبابا بترا 16 ب، حيث نجد أنّ إسماعيل يتوب في حياة والده.

إذا كانت كلمات «فلمّا بلغ معه السعي» تعني أنّ اسحق أضحى كبيراً بما يكفي لأن يكون ذا فائدة لوالده، يمكن بالتالي أن نقارن مع يوسيفوس، *عاديّات*،I، 13، I، حيث يُقال، إن اسحق كان يعمل كلّ ما في وسعه للوصول إلى كل فضيلة وكان حاضراً دائماً لمساعدة والديه والوقوف بجانبهما في كلّ شيء.

يمكن مقارنة مسالة ظهور الله لإبراهيم في الحلم كي يطلب منه أن يضحّي باسحق، ببعض آيات في الكتاب المقدّس مثل تك 3:20 [فأتى الله أبيملك في حلم الليل...]؛ عد 20:22 [فأتى الله بلعام ليلاً، وقال له]؛ أي [في حلم.. حينئذ، يفتح آذان الناس، ويختم على إنذارهم...]، والتي تحكي عن سهولة إظهار الله لذاته في الحلم، حيث يعلن من خلاله رغباته. لابدّ أن نتذكر أنه في بيركه د. ر. إ. 31، الأحدث من سابقاتها، يطلب الله من إبراهيم أنّ يضحّي باسحق. من الجدير بالاشارة هنا، أن إبراهيم يعلن لابنه من ثم، أنّ عليه أن يضحّي به، ويظهر أنّ هذا عائد للحكاية التالية (تنحوما، وايرا):

«באותה שעה נפל פחד ויראה גדולה על יצחק שלא ראה בידו כלום להתקרב. הרגיש בדבר במה שעתיד להיות. בקש לאמר: איה השה לעולה ؟ אמר לו: הואיל ואמרת הקב"ה בחר כך! אמר: אם בחר בי הרי נפשי נתונה לו על דמי צר לי מאוד. ואף על פי כן: וילכו שניהם יחדיו. בודאי זה לשחוט וזה להשחט: ينتاب اسحق قلق ورعب كبيران؛ فلم ير في يد أبيه شيء يمكن النظر إليه على أنه قربان للتضحية. وراح يفكّر بما قد يحدث. فسأل أين هو الحمل للمحرقة (تك 7:22)؟ فقال له إبراهيم: كونك سألت، (فسوف أجيبك): الله اختارك قرباناً. فقال اسحق: إذا كان هو اختارني قرباناً، لابدّ أن اسلم له، مع أني قلق على دمي. مع ذلك، يقال في النص: ومضيا كلاهما معاً. وذلك يعني، الأوّل كي يذبح، والثاني كي يُذبح». ويمكن مقارنة الاشارة الهاغادية حول تسليم إبراهيم وابنه بعبارة «فلمّا أسلما» القرآنيّة (انظر: المرجع السابق، ص 156، مقطع 3).

وفي أبوكريفا العهد الجديد، Clemens an die Korinther، تحرير Hennecke، ص 492، يُقال: «مضي اسحق طوعياً وبإيمان راسخ، أنه في المستقبل القريب، سيقدّم قرباناً إلى المحرقة».

بالنسبة للامتحان الذي يجتازه إبراهيم، يشير سفر التكوين بشكل خاص إلى أمر الله لإبراهيم 1:22، الذي تسمّيه سنهدرين، «الاختبار الأصعب»[1]. و«الأضحية الربّانيّة» التي يتم تخليص إبراهيم من خلالها، بحسب القرآن، هي في واقع الأمر ذلك الكبش، الذي يقدّمه الله لإبراهيم، في نهاية المطاف، كبديل للابن الذي لن يتم ذبحه كأضحية، كما يقول تك 13:22. يقول سفر تكوين راباه، 13:22، بوضوح: «וילך אברהם ויקח

[1] من أجل: إن هذا لهو البلاء المبين، قارن : 46:2، حيث يسمّى قتل أبناء اليهود من قبل فرعون بلاء، كما أن بلاء تطلق على الحرب على الكافرين : 137:7، 6:14 .

את האיל ויעלהו לעולה תחת בנו... אמר: רבונו של עולם. הוי רואה דמו של איל זה כאלו דמו של יצחק בני: אימוריו כאלו אימוריו דיצחק בני כהדא דתנן: הרי זו תחת זו. הרי זו תמורת זו הרי זו חלופי זו. הרי זו תמורה... הוי רואה כאלו הקרבתי את יצחק בני תחלהו אח"כ הקרבתי את האיל הזה תחתיו: فعمد إبراهيم إلى الكبش وأخذه وأصعده محرقة بدل ابنه (تك 22:13)... قال إبراهيم: يا ربّ العالمين، انظر إلى دم الكبش، كما لو كان دم ابني اسحق. انظر إلى أعضاء الكبش القربان، كما لو كانت أعضاء ابني اسحق القربان... انظر إلى المسألة، كما لو أني قدمت ابني اسحق في بداية الأمر قرباناً، ثم استبدل بهذا الكبش مكانه».

كذلك فإن أبوت تتحدّث هي أيضاً عن كبش المحرقة، وذلك باعتباره من ضمن تلك الأشياء التي خلقها الله في غسق يوم الخليقة السادس. إذن، للحكاية القرآنية ما يماثلها عند اليهود.

الله يري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض

السورة 6: 75 (3 مك): «وكذلك نُري إبراهيم ملكوت[1] السماوات والأرض وليكُونَ من المُوقِنِينَ». عن الرحلة السماويّة ورؤيا إبراهيم، تتحدّث *الأبوكاليبس*، تحرير Bonwetsch، ص 26: «وحملني (الملك لإبراهيم) إلى حدود لهيب النار، وصعدنا مع ريح كثيرة فوق السماء، المتماسكة فوق الأرجاء». وهناك رأى إبراهيم نوراً قويّاً وفي هذا النور رأى الناس يتجوّلون،

---

[1] ملكوت كلمة من أصل عبراني او آرامي؛ قارن : 184:7؛ 90:23؛ 83:36. انظر :
Fraenkel, De vocabulis... peregrines, Diss, Leiden, 1890, S. 22. Horovitz, Jewish Proper Names, S. 222, Ahrens, Muhammed als Religionsstitufter, 1935, S. 33.

ويتعبّدون فيه كلمة الله غير المعروفة. ويطلب من إبراهيم أيضاً أن يعبد الله، ويرى رؤيا مشابهة لرؤيا حزقيال. وفي السماء السادسة رأى «الأرض وثمرها، وما يتحرك فوقها، وما ينفخ الروح فيها وقوة ناسها وكفر الأنفس التي عليها ودلائل الصحة عندهم وبداية عملهم... ». ويحسب تكوين راباه 24:44، يري الله إبراهيم جهنم، مملكة السبي، الشريعة والهيكل. ويحسب رأي أخر، المرجع ذاته 25:44، يري الله إبراهيم كلّ أسرار هذا العالم والعالم الآخر، وما حدث حتى هذا اليوم، أو ما سيحدث أيضاً حتى مجيء المسيح. قارن: بس. د. را. كاهانا 5 وخروج راباه 5:51.

صلاة ابراهيم

السورة 14: 34- 41 (مد) [1]: «وإذ قال إبراهيم: ربِّ اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام. ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنّه منّي ومن عصاني فإنّك غفور رحيم. ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربّنا إنّك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إنّ ربّي لسميع الدعاء. ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذرّيتي[2] ربّنا تقبّل دعاء. ربّنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب».

---

[1] Nöldeke – Schwally 1 , S. 152.

[2] ذرية كلمة تستعمل غالباً في الإشارة إلى شخوص من الكتاب المقدّس. هكذا الحال مع آدم (64:17؛ 48:18)؛ نوح (75:37)؛ إبراهيم (18:2، 122؛ 84:6)؛ إسحق (113:37)؛ لوط (26:26)؛ وزكريا (30:3). غالباً ما تستعمل زرع זרע كما هي الحال في العهد القديم كاسم للذرية إبراهيم.

قارن 124:2 (مد): [«وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهن، قال: إنّي جاعلك للناس إماماً؛ قال: ومن ذرّيتي ؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين»].

ويحسب سفر *اليوبيل*، يصلّي إبراهيم مراراً وتكراراً من أجل أولاده؛ قارن، على نحو خاص 22: 7 وما بعد: «يارب، ليكن خيرك وسلامك على عبدك وعلى ذريّة أولاده، فيكونوا شعبك المجتبى ووريثاً من بين كلّ شعوب الأرض من الآن وفي كلّ أيام أجناس الأرض في كلّ الأبديّات».

تعرف تعنيت (11، 4، 10آ) من التلمود الأورشليمي أيضاً، أن إبراهيم كان قلقاً على مستقبل ذريته فصلى للربّ من أجل رفاهيتهم:
... אמר אברהם לפני הקב"ה: רבון העולמים יגלוי וידוע לבניך שבשעה שאמרת לי להעלות את יצחק בני היה לי מה להשיב ולומר לפניך: אתמול אמרת לי: כי ביצחק יקרא לך זרע ، ועכשיו אתה אומר: והעלהו שם לעולה יה"ו לא עשיתי כן אלא כבשתי את יצרי ועשיתי רצונך: כן יהי רצון מלפניך... ישבשעה שיהיו בניו של יצחק בני נכנסים לידי צרה ואין להם מי ילמד עליהם סניגוריא אתה תהא מלמד עליהם סניגוריא... قال إبراهيم له: يا ربّ العالمين! معروف وواضح لك عندما طلبت مني أن أضحي بابني اسحق، أنه كان باستطاعتي أن أقول لك. البارحة قلت لي، كما هو مكتوب في سفر التكوين 12:21 [فقال الله لإبراهيم. لا يسوء في عينيك أمر الصبي وأمر خادمتك. مهما قالت لك سارة، فاسمع لقولها لأنه بإسحق يكون لك نسل باسمك. وأمّا ابن الخادمة، فهو أيضاً أجعله أمّة عظيمة، لأنه نسلك]، والآن تقول لي، كما هو مكتوب في سفر التكوين 2:22 [قال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبّه، إسحق، وامض إلى أرض الموريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أريك]. مع ذلك، فقد كان بعيداً عن ذهني، أن أفعل شيئاً كهذا، فقمعت ميلي وحققت إرادتك. لذلك، إلى الأبد، يا ربّي، إذا شئت، إنّه، إذا أحد من سلالة ابني اسحق مرّ

بصعوبات فائقة ولم يلتقطه أحد، أنت خذ بالتالي دور المدافع... ". على نحو مشابه لصلاة إبراهيم تسير أيضاً طلبة داوود، التي يتفوّه بها (عدد راباه 2:19) أمام الله: והיה דוד מתפלל עליהם ואומר: אתה ה' תשמרם · נטר אורייתהון בלבהון، תנצרם מן הדור זו לעולם: وصلى داوود من أجلهم (ذرّيته) وقال: أحمهم، يا ربّ، إن شئت (مز 8:12)؛ هذا يعني، شوفاني. بالمناسبة، فإن صلاة إبراهيم القرآنيّة تظهر كم كان على إبراهيم أن يلعب أدوار محمّد ذاته. إن «مقام إبراهيم» يسمّى أيضاً في 97:3 آمناً (قارن 57:28؛ 68:29)، وأنه على أبناء إبراهيم أن لا يقعوا في الخطيئة، حتى لا يكون عليهم بالتالي، كالكافرين، الذين يفعلون أموراً كهذه، أن يبرّروا ذلك يوم الدين (18:25). عليهم أيضاً المحافظة على الصلاة دائماً؛ عندئذ أولئك الذين يقيمون الصلاة في الأرض، الذين يمكنهم الله في الأرض، سوف يقدّم لهم عون الله (42:22). إن طلبة: إغفر لي ولوالدي... إلخ.، يوجهها بصيغ مختلفة كلّ الأنبياء الله (147:3 [النص القرآني هو: ربّنا اغفر لنا ذنوبنا])، وفي معظم الأحوال تتوافق صلاة نوح مع طلبة إبراهيم (28:71): ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات. بالمقابل نجد كلمات: فمن تبعني فإنّه مني فقط في موضع قرآني مورد آنفاً (36:14)، وهي تذكرنا بكلمات المسيح (متى 19:4): «وقال لهم: اتبعاني أجعل منكما صيّادي بشر». قارن: متى 38:10: «ومن لم يحمل صليبه ويتبعني، فليس أهلاً لي... ». قارن: متى 21:19؛ يوحنا 12:8؛ مرقص 14:2؛ لوقا 61:9؛ يوحنا 26:12.

وهكذا يمكن أنّ محمّداً سمع من اليهود أو المسيحيين الصلاة، التي قالها إبراهيم لأجل مستقبل أولاده. لكن في القرآن نجد الحديث واضحاً عن أماني محمّد، التي كان يفكر بها لملته الفتيّة.

شفاعة إبراهيم لأجل الأرض

السورة 120:2 (مد): «وإذ قال إبراهيم: ربِّ اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله ومن الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، قال: ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير».

إن الرباط بين الله واسحق ويعقوب، بحسب سفر اللاويين 42:26.

42:26 «أذكر ميثاقي مع يعقوب، وأذكر أيضاً ميثاقي مع إسحق، وميثاقي مع إبراهيم، وأذكر الأرض».

43:26 «والأرض تُترك منهم وتستوفي سُبوتها في وحشتها منهم، وهم يستوفون عن ذنوبهم لأنهم قد أبوا أحكامي و كرهت أنفسهم فرائضي».

44:26 «ولكن مع ذلك أيضاً متى كانوا في أرض أعدائهم، ما أبيتهم ولا كرهتهم حتى أبيدهم وأنكث ميثاقي معهم، لأنّي أنا الرّبّ إلههم».

45:26 «بل أذكر لهم الميثاق مع الأوّلين الذين أخرجتهم من أرض مصر أمام أعينِ الشّعوب لأكون لهم إلهاً. أنا الرّبّ».

46:26 «هذه هي الفرائضُ والأحكام والشّرائع الّتي وضعها الرّبّ بينه وبين بني إسرائيل في جبل سيناء بيد موسى».

ذُرّيّة إبراهيم

السورة 50:19 (2 مك): «فلما اعتزلهم من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيّاً».

السورة 21: 72–73 (2 مك): «ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقامَ الصّلاة وإيتاء الزكاةِ وكانوا لنا عابدين».

السورة 37: 112-113 (2 مك): «وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين. وباركنا عليه وعلى اسحق... »، وبحسب الآية 84:6 (3 مك) يهب الله إبراهيم اسحق ويعقوب ويجعلهما من الصالحين؛ قارن 27:29 (3 مك) [ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذرّيته النبوّة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنّه في الأخرة لمن الصالحين)، و 58:19 (2 مك) [ومن ذرّية إبراهيم واسرائيل وممن هدينا). أمّا في السورة 38: 45-48 [واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار. إنّا أخلصناهُم بخالصةٍ ذكرى الدّارِ. وإنّهم عندنا لمن المُصطفين الأخيار. واذكر إسماعيل...] فيدرج كل من إبراهيم واسحق ويعقوب الخ. في صف رجال الله المصطفين. وفي 38:12 (3 مك)، يسمّي يوسف آباءه: إبراهيم واسحق ويعقوب. وحول تبشير الملائكة، يقال 71:11 (3 مك): «فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب». وتسمّي 6:12 (3 مك) أبوين بعيدين ليوسف: إبراهيم واسحق. أمّا 133:2 فتعتبر أن آباء يعقوب هم: إبراهيم و إسماعيل واسحق.

المواقع التي أوردناها سابقاً تظهر، أن هنالك نوعاً من علم وضوح الرؤيا، ما إذا كان يعقوب ابن إبراهيم أو حفيده. [1]وباستثناء الآية 127:2 (مد) فإنه باستمرار تذكر أسماء ثلاثة أو إثنين أيضاً من آباء الأرض المقدّسة الواحد بجانب الأخر. في بداية الحقبة المدينيّة (127:2) _ الآيات الأخرى الواردة تنتمي إلى الحقبة المكيّة _ نجد أن إبراهيم و إسماعيل واسحق آباء ليعقوب. وهكذا ففي الحقبة المكيّة لم يكن التصوّر واضحاً حول تعاقبيّة آباء الكتاب المقدّس، الذين كانت أسماؤهم مع ذلك شائعة بين اليهود عبر الليتورجيا، لكن محمّداً كان في شكّ، حول أين يجب أن يوضع في السلسلة اسم إسماعيل، الذي لا اليهود ولا المسيحيين يذكرونه ضمن آباء الأرض

[1] قارن: Geiger , S. 135f.

المقدّسة والذي ينتمي إليه محمّد ذاته بحسب تعاليم الإسلام. في الحقبة المدينيّة، ومع أخذ محمّد لموقف أكثر استقلاليّة حيال الروايات الكتابيّة، يتمّ إحصاء إسمعيل ضمن قائمة آباء الأرض المقدّسة. وعلاوة على الأمر المتعلق بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة يؤمر آباء الأرض المقدّسة أيضاً بفعل الخيرات [73:21]، والتي يقصد بها «عمل الخير» (גמילות חסידים מעשים טובים)، التي هي بحسب الرأي اليهودي يمارسها بشكل خاص أباء الأرض المقدّسة بطريقة أمثوليّة. [1]

إسماعيل

في الحقبة المكيّة يسمى إسماعيل بالنبي (55:19 [اسماعيل... كان نبياً]؛ 85:21؛ 48:38، 2 مك) لكنه لم يعد معروفاً كابن لإبراهيم، كما تظهر المقارنة بين 86:6 [و إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، كل فضلنا على العالمين] مع 84:6 [ووهبنا له (إبراهيم) إسحق ويعقوب] من الحقبة المكيّة الثالثة. للمرّة الأولى في الحقبة المدينيّة يظهر إسماعيل بذاته في الموضع 39:14 [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي (إبراهيم) عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ]. وفي المدينة، كإبراهيم ذاته، يسمّى إسماعيل كمؤسس للعبادة التي تدور حول الكعبة ([2] 125:2) [وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ...] ويدرج في نهاية الأمر بجانب إبراهيم واسحق ضمن قائمة آباء الأرض المقدّسة (133:2). وفي الحقبة المدينيّة يظهر إسماعيل كرجل لله له الأهميّة ذاتها التي للآخرين (136:2) [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ... وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ

---

[1] انظر المرجع السابق، ص179، مقطع 2.

[2] Horovitz, K. U. S. 11.

النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] (84:3) [قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ... وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]، وفي نهاية الأمر نجد أن اسماعيل، قرآنياً، كإبراهيم واسحق ويعقوب، ليس يهودياً ولا نصرانياً. وبحسب 136:2؛ 84:4 ؛ 4: 163 [وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل]، يتلقى إسماعيل وحياً. لذلك، يصل ليدزبراسكي[1] إلى استنتاج مفاده، أن صيغة الاسم إبراهيم يُعاد بناؤها قياساً على إسماعيل، بحيث أنّ هذا الاسم الأخير صار معروفاً في معناه التوراتي كأب خرج منه العرب عبر وسيلة يهوديّة في الزمن ما قبل الإسلامي. ويظهر هوروفيس[2] أنّ الاسم، حتى إذا لم يكن أباً انحدر من صلبه العرب، فقد كان مألوفاً بينهم على الدوام.

إبراهيم يوصي أولاده

السورة 132:2 (مد): «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ».

هذه الرواية تأتي مباشرة قبل الحكاية المأخوذة عن الأسطورة اليهودية المتعلقة بسؤال يعقوب لأولاده، ما إذا كانوا بعد موته سيظلون يعبدون الله، وكان يجب أن من سيخلق منهم أن يكون له موقفاً مشابهاً لهذا. أمّا كلمة وصي العربيّة فهي تتناسب مع צוה [صوّى] العبريّة، التي غالباً ما تأخذ في العهد القديم معنى «توصيل الوصيّة الأخيرة». أنظر على سبيل المثال سفر التثنية

(1) Ephemeris für seitische Epigraphic II , S. 44; Das Johannesbuch der Mandäer , S. XXVI.

(2) K.U., S. 92.

28:3. هذا ما يقوله أيضاً سفر اليوبيل (Kautzsch , II , S73ff) عن الكلمات الأخيرة، التي تفوّه بها إبراهيم لأولاده وحفيده. هناك يقال (20 وما بعد): «ووصّاهم، أن يراعوا طريق الله، أن يتبعوا العدل ويحب واحدهم الآخر فيخوضوا المعارك سويّة، حتى لا يأخذهم أحد، عن فعل الخير والحق على الأرض. ثم أنه ختن أولاده بحسب العهد... الخ».

ديانة إبراهيم

بحسب 67:3 [مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] و 16: 120 – 123 [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (3 مك) فإنّ إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مشركاً، بل إمام وحنيف، مطيع لله، شاكر له على نعمه، والله اصطفاه وهداه إلى الطريق القويم. تسمّي 41:19 (2 مك) إبراهيم صدّيقاً نبيّاً؛ قارن أيضاً: 78:22 (مد)؛ 13:42 (3 مك). تقول 37:53 (1 مك) عن إبراهيم: الذي وفى. أمّا 51:21 (2 مك) فيرد فيها: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين». الله يجعل من إبراهيم صديقاً له: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» (125:4؛ مد). وبحسب 163:4 (مد) توحي لمحمد ذاته تعالياً، والتي أوحيت من قبل لإبراهيم وغيره من رجال الله السابقين. قارن: 161:6 (3 مك). بل يطلب من محمد ذاته: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم (123:16؛ 3 مك[1]). لذلك فإنه لا يترك

---

[1] كما يبدو من المواضع المورد آنفاً، فإن هذه الآية قد تكون من الزمن المكّي، لكن نولدكه- شفالي يعتبرانها مدنيّة.

ملّة إبراهيم غير السفهاء (2:130؛ مد)؛ من هنا يظهر إبراهيم في هذا العالم كأحد المصطفين إلى جانب آدم ونوح و عيسى (3:33؛ مد)، وفي العالم الآخر سيكون بين الرجال الصالحين (2:130؛ مد). لقد أعطى الله إبراهيم طائفة الكتاب والحكمة والملك العظيم. إذن على أهل الكتاب أن لا يحاجوا بشأن إبراهيم، فالتوراة والإنجيل لم ينزلا إلا من بعده، وهو بالتالي لا ينتمي (وفق الرأي الإسلامي) لا إلى اليهوديّة ولا إلى النصرانيّة الموحانين من الله. ويبدو أن النبي العربي والذين آمنوا به يعتبرون كأتباع لإبراهيم (3: 64-68؛ مد).

في سفر التكوين 20:7 يسمّى إبراهيم نبيّاً [فإنّه نبيّ وهو يدعو لك فتحيا]، وكان أبيملك يعزّي نفسه، بأنّ إبراهيم عبر وظيفته النبوية لا بدّ أن يعرف، أن سارة لم تمس فيعيدها إليه (تكوين راباه 42:10). – وكما يسمّى إبراهيم في القرآن الكريم خليل الله، فهو يسمّى أيضاً في سفر أشعيا 8:41 خليل אוהבי الله. قارن: سفر الأخبار الثاني 20:7 [وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك للأبد]. في العهد الجديد، رسالة القديس يعقوب، يقال عن إبراهيم، 23:2، χαι φιλος θεου [ودعي خليل الله]. ويحسب: *أبوكاليبس أبراهام* (تحرير Bonwetsch، Leipzig 1897، ص 21)، يقول الله لإبراهيم: «لقد أسميتك خليلي»؛ كما يقول له أيضاً: «قم يا ابراهيم، يا صديق الله، الذي أحببتك». قارن أيضاً: السفر ذاته، ص 10. عن حب الله لإبراهيم، يتحدث أيضاً سفر عزرا الرابع، 14:3، (Kautzsch , II , 35)، ورسالة أقليمنضس إلى أهل كورنثوس 1:10 (Hennecke , Neutest. Apokr. , S.93) تسمّي إبراهيم «خليل الله».[1]

I, s. 146.

[1] مكتوب اسم ابراهيم "كخليل الله" في اللوح السماوي (سفر اليوبيل 19:9؛ نسخة كاوتش، 72:2). انظر: هيرشبرغ، ديوان السموءل، 1931، ص 55.

تقارن الماغاداه بين إبراهيم و אוהב של מלך (تكوين راباه، 11:30) أمّا تعبير מה לידידי בביתי [ما بال حبيبتي في بيتي] في سفر إرميا 15:11 فإنه في المدراش يشير بطريقة تصادفيّة إلى إبراهيم. قارن مناحوت 53 ب وشبّات 137 ب، حيث يسمّى إبراهيم ידיד [حبيب]. كذلك ففي الترغوم الأورشليمي لسفر التكوين 17:18، يحمل الاسم إبراهيم اللقب רחמי «حبيبي» وفي ليتورجيا آرامية ليوم كيبور يسمّى إبراهيم رحيم [حبيب][1]. وفي الترتيلة السابعة عشرة لأفراهاط (Wright, S .344) تطلق على إبراهيم تلك التسمية المشار إليها في سفر أشعيا 8:41، «خليلي». إن التعبير خليل الله موجود أيضاً في أشعار يزعم أنها لورقة بقدر ما هي السموءل.[2]

منذ الحقبة المكّيّة الثانية كان مصطلح ملّة بمعنى «ديانة» كثير الاستخدام، سواء أكانت وثنيّة أو يهوديّة أو نصرانيّة، لكنها كانت تطلق بشكل خاص على «ديانة إبراهيم». يستنبط نولدكه[3] الكلمة من מלתא [ملتا] الآراميّة، التي تعني في الأصل «كلمة»، لكن هيرشفيلد[4] يلمح في ملة، «بتحفظ مناسب» إساءة فهم מילה [ميله] «ختان»، والذي كان إبراهيم أوّل من مارسه على نفسه. ويعتقد هوروفيتس[5]، أن محمّداً ربما لم يكن متأكداً من وثاقية تكييف מלתא الآراميّة مع ملّة «طريق» العربيّة. كذلك فقد كان الشعراء العرب المعاصرين لمحمّد يتحدّثون غالباً عن ملّة الله[6]. وحين يؤكد

[1] B. Beer , Leben Abrahams nach auffassung der jüdischen Sage , Leipzig 1859 , S. 160 – 161 , Note 427 , 431.

[2] شيخو، شعراء النصرانيّة، ص 617؛ قارن : هيرشبرغ، المصدر السابق، ص 63؛ انظر: Horovitz , K. U., S. 86.

[3] Neue Beiträge, K. U., S. 86.

[4] New Researches, S. 167.

[5] Horovitz , K. U. S. 62.

[6] Horovitz , K. US. 63.

المرء على מלתא آرامية لِملّة العربية، يمكن بالتالي أن يتذكر מלי דשמיא، التي تؤكد عليها *كتوباه* 105 أ وأيضاً كنقيض لـ מלי דעלמא. قارن أيضاً מלי דאורייתא، التي في مواضع كثيرة من التلمود تحمل ببساطة معنى «تعليم». ويشير أرنس[1] إلى سفر أعمال الرسل المنحول 6:7؛ 8:4؛ 14، حيث تترجم λογος του θεου إلى ملطا دالآها. غالباً ما يمتدح إيمان إبراهيم في العهد الجديد (رسالة بولس إلى أهل روما 4: 9؛ 16؛ الرسالة إلى العبرانيين 11: 8؛17؛ غلاطية 6:3؛ يعقوب 23:3). يظهر «أبونا إبراهيم» (إشعياء 2:51) أيضاً في إنجيل متى 9:3 «وكأب» «حضنه» هو الجنة (إنجيل لوقا 22:16) والذي هو جالس مع إسحق ويعقوب والعديد من الصالحين في ملكوت السماء (متى 11:8).

«كتب» إبراهيم وإسماعيل

في الآية (1 مك) 19:87 نجد ذكراً «الصحف»[2] إبراهيم وموسى، أمّا الآية 41:19 (2 مك) فتتحدّث عن «كتاب إبراهيم». وفي 54:19 يطالعنا الحديث عن «كتاب إسماعيل».

بحسب هربلوت Herbelot[1] فإن المجوس يعزون له كتابة كتب الزند. وفي زمن أكثر تأخراً كان الواحد من اليهود يعتقد، أنّ إبراهيم دوّن

---

(1) Ahrens, Muhammed als Religionsstifter, 1935, S. 33.

(2) الكسائي أيضاً يشير ما أنزل إليه على "صحف"، والتي ينظر إليها لاحقاً باعتبارها "كتباً"، انظر:
Brandt, Elchasai, S. 67; Cart Clemen, Muhammed Abhängigkeit von der Gnosis, Harnack Ehrung 1921, S. 247.
الصحف المتنقلة، التي تحتوي أغاني ممجّدة وقصائد هجائية، عرفت انتشاراً واسعاً (أغاني 24:20؛ 16:2؛ لبيد 47:1). من أجل الصحف التي كانت منتشرة في شبه جزيرة العرب؛ قارن:
Horovitz, K.U., S. 69.

كتاب اليصيرا Jesirâ ورسالة حول السحر[2]. لكن *سفر اليوبيل* 27:12؛ قارن 17:12، (Kautzsch , II , S 62 ; 63)، على نحو خاص يحكي كيف أن إبراهيم نسخ كتب أبيه ومنها تعلّم عن أشهر المطر الستة[3]. وكتاب Αβρααμ الأبوكريفي يُستشهد به في Stichometrie des Nicephorus و Synopsis Athanasii[4].

محمّد وقصّة إبراهيم القرآنيّة

أثناء الحقبة المكيّة كانت لدى محمّد أنباء غامضة عن «كتب إبراهيم وموسى» (19:87؛ 53: 36 - 38)، وهي تتمّ مماثلتها مع الكتاب السماوي، من هذه الصحف يمكننا الحصول على أخبار مصائر البشر في العالم الأخر كما تقول السورة 87، أمّا 53: 39 - 55 فتقدّم أيضاً عن وصفٍ لأفعال الله. وتقدّم لنا السورة 51 الحكاية الظريفة عن زيارة الملائكة لإبراهيم (ربما أن الآيات 26 - 30 من حقبة مكيّة أكثر حداثة). وهم [الملائكة] يوضحون، أنهم مبعثون إلى قوم لوط الآثمين (الآيات 31 - 37). عن إرسال رسول الله آخر، أي موسى إلى فرعون، تتحدث الآية 38 وما بعد. حكاية زيارة الملائكة تفتتحها الآية 23 بالتأكيد، أن ما يعد به الله، يأخذ شكل القسم، الذي ينطق

---

[1] Bibl. or. s. v. "Abraham".

[2] B. Beer. Leben Abrahams nach auffassung der jüdischen Sage , Leipzig 1859 , s. 208.

[3] يظهر إبراهيم لـ فيلو كخبير في علم الفلك، انظر:

De Abrahamo , § 71 ff.

وكمراقب للطبيعة المرجع السابق، 60 §. أمّا عند يوسيفوس، في العاديات، فيظهر إبراهيم كأستاذ للرياضيات والفلك، انظر :

Ant , I , 8 , 2.

[4] Schürer, Geschichte des Jüdischen Volkes II , s. 670.

به البشر. وبالقسم يؤكد القران الكريم ذاته على روايات يوم القيامة (1:52 وما بعد). فهو يقسم بالطور، والكتاب المسطور في رقّ منشور، قبّة السماء، البحر و «البيت المعمور»، حيث يمكن للمرء أن يستدل منه، أن أهميّة الكعبة، التي لعبت دوراً كبيراً في زمن لاحق في قصة إبراهيم، كانت مؤكدة بالنسبة لمحمّد منذ زمن أوّلي.

كلّ الروايات الأساسية المتعلقة بحياة إبراهيم تأتي من الحقبة المكيّة الثانية وما بعد. إلى هذا الزمن تنتمي السورة 54، حيث تتحدّث الآية 33 وما بعد عن العذاب الذي تلقاه قوم لوط، والقصّة تستهل بكلمة كَذَّبَتْ، التي تبدأ بها أيضاً الآية 9 التي تتحدّث عن قوم نوح، والآية 18 التي تتحدّث عن قوم عاد والآية 23 التي تتحدّث عن قوم ثمود. لقد قضي على قوم سدوم بالريح المحمّلة بالحصى (الآية 34)، وعلى قوم عاد بالريح الصرصر (الآية 19).

السورة 37، التي تميّز نفسها عبر بنائها الموحد، تحكي لنا عن شجار إبراهيم مع معاصريه وتدميره للأوثان (الآيات 83 – 96). يسمّى إبراهيم على أنه من شيعة الله (الآية 83)، حيث محمّد، حين يقارن المرء بين الاستخدام اللغوي لكلمة شيعة في 69:19 و 15:28، حيث 69:19 لا تنتمي إلى زمن أكثر حداثة بكثير، يريد القول، إنّ جماعة المؤمنين بالله أيام إبراهيم أيضاً هم شيعة معادية مواجهة للكافرين. تتحدّث الآيات 37: 97 – 98 عن خلاص إبراهيم من الجحيم، أمّا الآيات 101 – 113 فتتحدّث عن التضحية بابن إبراهيم. التقوى الاراديّة لإبراهيم وابنه تعبّر عنه الآية القرآنيّة 103 بالكلمتين التاليتين: فَلَمَّا أَسْلَمَا، لكن ربما أنّ هاتين الكلمتين لا تعنيان، أنهما كانا مسلمين، بل على الأرجح، أنهما كانا يسلّمان بإرادة الله. أمّا الآيتان 112 – 113 فتطلقان على اسحاق صفة نبيّ وتتحدّثان عن أولاده المختلفين

في الطيبة واحدهما عن الآخر. الآية 133 وما بعد تقدّم لنا باختصار قصّة لوط. إن البركة التي تقول: سلام على... تمنح في هذه السورة لكلّ من نوح (79) و إبراهيم (109) وموسى وهارون (120) [خطأ: آل ياسين وليس الياس]، لكنها لا تمنح للوط ويونس. كان من المعروف أن المكانة النبوية للأخيرين كانت أدنى من سابقيهم، كما يُشار إلى التقويم المتواضع للوط مقابل إبراهيم عند الجانب اليهودي-المسيحي.

تسمّي 13:50 الجيل الآثم أخوان لوط.

تقدّم لنا السورة 26 حكاية إبراهيم في إطار قصص العذاب السبعة التي تقصّ علينا هناك (الآية 96 وما بعد)، فإبراهيم يتشاجر مع معاصريه حول عدميّة الأوثان، «التي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر»، (الآيات 72 – 73)، ويشير إلى قدرة الله، الذي يخلق ويهدي، يطعم ويسقي، ويشفي المرضى (الآيات 77 وما بعد). من أجل والده يترجى إبراهيم مغفرة الله، حتى لا يُجزى بسببه يوم الحساب (الآيات 86 – 88). تحكي لنا الآيات 160 وما بعد قصّة لوط، ونقاشه مع قومه، والعقاب الذي أحاق بزوجته، من الجدير بالذكر هنا، أن إبراهيم وموسى ليسا مثل نوح (الآية 109) و هود (الآية 127) وصالح (الآية 145) ولوط (الآية 164)؛ أي أنهما لا يرغبان بأجر على ما يفعلان.

يمكن هنا مقارنة النصوص السابقة المتعلقة بإبراهيم مع مواضع توراتيّة مثل الآيات 2:12 وما بعد، 16؛ 2:13 17:22؛ 1:24 الخ... من سفر التكوين، والتي تحكي عن أن إبراهيم كان سيكافأ بكرم سخي عن إيمانه بالله. هذا يتطابق مع كون إبراهيم إنساناً فريداً في إشارته إلى خيريّة الله، التي أعطيت له (الآيات 78 – 82). أمّا قصّة موسى، الذي تربّى في البلاط الملكي المصري، فيمكن أن نلمح فيها أسطورة يهوديّة قديمة، والتي تقول إن موسى

كان يحفظ لذاته بنفايات ما تكسر من الألواح التي يتمّ تصنيعها من الأحجار الكريمة وكان بالتالي غنياً (*نداريم* 38 أ). لكن بالمقابل طلب السحرة من فرعون أجراً على فنونهم السحريّة (الآية 41) وكان أجرهم أن يكونوا من المقربين، أي، קרובים למלכות، وهكذا تتم الإشارة بشكل خاص إلى ما أخذه موسى في الأصل من مواقف، و إلى توبيخات فرعون له على ما فعله (الآيتان 19 – 20).

تحكي لنا السورة 15: 51 – 60، من جديد، عن زيارة الملائكة لإبراهيم حيث بشروه بغلام، أمّا الآيات 61 – 74 فتحكي عن زيارة الملائكة لقوم لوط، الذين كانوا يرغبون بأن يعاملوا الضيوف بشكل سيء ولذلك تم القضاء عليهم.

تستشهد السورة 19 (الآية 42) «بكتاب إبراهيم»، الذي كان نبيّاً، وتجعله يفترق عن والده (الآيات 42 – 48). وكلمات إبراهيم هنا تبدو حاسمة كما هي في السورة، ففي حين يطلب هناك ببساطة الغفران لوالده من الله (26: 86 – 88)، كي لا يخزي يوم البعث، فهو الآن يشير لوالده، بأنّه يعبد ما لا يسمع ولا يرى ولا يفيد، وهي كلمات لم يكن يستعملها سابقاً إلا ضد أبناء قومه (26: 72 – 73). إنه يقف الآن ضد والده وذلك لكونه، أي إبراهيم، جاءه «العلم»، وهو ما لم يحصل عليه والده (19:43)، ويطلب أن يهدى إلى الصراط المستقيم (الآية ذاتها)، ويحذر والده أن لا يعبد الشيطان، الذي كان عاصياً لله (45)، ويخشى أن يعذب الله والده ويكون وليّاً للشيطان (الآية 45). أمّا ما يتعلق بتهديد والد إبراهيم له، بأنّه سيرجمه، فنجد إبراهيم يقف بكلمات، ترن فيها نغمة التواضع، وتكرّس القطيعة بينه وبين والده: «سلام عليك، سأستغفر لك ربّي... وأعتزلكم وما تدعون من دون الله... » (الآيتان 47 – 48). إن الأجر على حكاية فقدان الذات هذه هو الخلفاء

المفضلين، الذين سيكونون من نصيب إبراهيم (49 – 50). إذن، أن محمّداً ليس بعد زمن طويل من اتباعه التعاليم اليهوديّة، يوضح، أن الأولاد يكونون في حلّ من واجب إطاعة الوالدين، حين يجبرهم الأخيرون على عبادة الأوثان (8:29)، وأنه في اليوم الآخر لا يجزى الأب عن ابنه ولا الابن عن أبيه (33:31).

تطلب السورة 38 أن تتذكر إبراهيم واسحق ويعقوب، الذين كانوا من أولي الأيدي والأبصار (45 – 47)، والذين الله «أخلصهم بخالصة» والذين ينتمون إلى المصطفين الأخيار، وهكذا فإن التعاليم المتعلقة «بتبجيل الأب» لم يكن تأثيرها غير ناجح على محمّد، والذي رفضها في أوقات أكثر تأخراً بحزم، أمّا إسماعيل فيذكر اسمه ضمن أسماء لرسل لله آخرين (48)، وهكذا ينظر إليه على أنه ليس ابناً لإبراهيم.

في السورة 43: 26 – 28، يوضح إبراهيم أمام أبيه ومعاصريه، حيث يعامل أبوه على نحو مساو لمعاصري إبراهيم بالكمال والتمام: «إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ. إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي». هذا القول تسمّيه الآية 28 كلمةً باقيةً وذلك بالإشارة إلى الأجيال التي ستأتي من إبراهيم، حتى تقرّ بوجود الله. نجد هنا أيضاً الإشارة إلى ملّة إبراهيم، الديانة المتغلبة على كل ما عداها من ديانات موحاة، وهي الرد المفحم على الاحتجاج الذي كان على كلّ نذير سماعه، وذلك بحسب الآيات 22 – 23 : «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أثرهم مقتفون». لكن بصورة رئيسة يطالعنا التنازع مع اليهوديّة والنصرانيّة، ومن هنا نفهم، وصف الآيات 46 – 56 سلوك موسى والآيات 57 – 59 سلوك عيسى، حيث نجد عيسى يحتل المقدمة بوضوح وذلك بوصفه «عبد أنعمنا عليه»، ومثلاً لبني اسرائيل.

في السورة 21 (الآيات 51 - 72) يظهر إبراهيم بوصفه ذاك الذي أعطاه الله الرشد من قبل (كل الآخرين): «وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ». وللحال يقلب ظهر المجن لأبيه وقومه ويخاطبهم بكلمات تفوح منها رائحة الاحتقار: «مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» (52). وما أن تلقى إبراهيم الجواب القائل: «وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ»، حتى قذف أباه وقومه، الذين يأخذ منهم الآن موقفاً متساوياً في عدائيته، بكلمات إدانة تقول: «لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (الآية 54). وللحال يقدّم إبراهيم شهادته على وجود الله، الخالق الأوحد (الآية 56)، ويشعر الآن أنه قويّ بما يكفي لأن يزيل الأصنام بالحيلة (الآية 57). فيحطّم الأصنام فيلينه القوم وينجيه الله من النار. الحيلة، التي رسمها قوم إبراهيم ضده هي، على عكس الحيلة، التي طبّقها إبراهيم ضد الأصنام، كان محكوماً عليها بالفشل (الآية 69). لكن إبراهيم ولوط ينجيهما الله إلى الأرض التي يبارك بها العالم بأسره.

بعد ذلك بوقت قصير، (17:1)، يشهد محمّد ذاته غيبة رؤيويّة وشعر أنّ الله اختطفه[1] من «الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ».

يظهر إبراهيم وذرّيته الآن (21: 72 - 73) باعتبارهم أمثولات، والذين هم بأمر من الله يهدون إلى سبيل الصلاح، والذين يوحى إليهم، أن يفعلوا الخير מעשים טובים[2] ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. أمّا قصّة لوط فتذكر باختصار (الايتان 74-75) كما يذكر اسم إسماعيل ضمن نطاق رسل لله آخرين في الآية 85.

---

[1] انظر:

Horovitz, Mohammeds Himmelfahrt, Islam IX, 160.

[2] فعل الخيرات (73:21)، تتوافق مع מעשים טובים، حيث يمكن إرجاع حسنات (116:11؛ 70:25) إلى شبيراطا = Καλα (متى 16:5) Καλα εργα أو (رسالة روما 17:12).

في نهاية الحقبة المكيّة الثانية تطفو على السطح من جديد قصّة لوط (27: 54 – 58). حتى تلك الآونة لم يكن إبراهيم المسلم، حيث أن أنموذجه البدئي Prototyp كان قد ظهر في وقت أكثر تأخراً، لكننا نجد على نحو خاص ملكة سبأ تقول عند هدايتها الكلمات المتميزة التالية: أَسْلَمْتُ... لِلَّهِ رَبِّ العالمين (الآية 44)، حيث اتفق وأن «أسلم» على غالب الظن كان لها المعنى: الالتحاق خارجياً بالإسلام.[1]

في الحقبة المكيّة الثالثة يسمّى إبراهيم إمام وحنيف، حيث كثيراً ما يُذكر أنّه لم يعبد الأوثان قط (مثلاً 16:120). في زمن لاحق يُنظر إلى محمّد ذاته بوصفه حنيفاً. هذا ما تقوله 10: 104 – 105: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». خلال هذه الفترة إذن كان يُفهم من حنيف، أنه ذلك الإنسان الذي حدث له تحوّل، وهكذا ازدرى عبادة الأوثان وأقرّ بالله على أنّه الإله الأوحد. وهذا يظهر بأوضح ما يمكن من الحكاية التي تنتمي إلى نهاية هذه الحقبة، حول معرفة إبراهيم، أنّ الله هو الإله الوحيد. فقد وجد إبراهيم، أنّ النجوم والقمر والشمس، الذين اعتبرهم في البداية آلهة، أنها في النهاية كانت تغرب، فحدث له التحوّل، حيث قال: «يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (6: 78 – 79). وللحال يدعو الله محمّداً ذاته، كي يتبع «ديانة إبراهيم» (16:123)، الذي أوتي في الدنيا حسنة وفي العالم الآخر سيكون من الصالحين (الآية 122). لابدّ أن هذه المواضع، لأنّها تتحدّث عن ملّة إبراهيم، لا تنتمي حتماً كما يقول نولدكه – شفالي، I: 146، إلى الزمن المديني،

[1] Ahrens, Muhammed als Religionsstifter, 1935, S. 113.

فمحمّد، كما يتضح من المواضع التي تنتمي إلى الحقبة المكيّة الثانية، يعتبر المؤمنين بإبراهيم أنّهم الأصيلون.

في السورة 11 نجد تكراراً لقصة زيارة الملائكة لإبراهيم (الآيات 69- 74)؛ عن تشفع إبراهيم لمدينة لوط (الآيات 74-76) وعن قدر لوط ومدينته (الآيات 77-83). ما يلفت النظر هنا، أنّ عائلة إبراهيم يُردّ عليها بكلمات، تقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (الآية 73)، والتي تنمّ عن أنّ محمّداً، يربط بين إبراهيم والكعبة، التي تسمّى البيت.

نجد الآن أن الله يدعو محمّد ذاته، أن يكون مسلماً (66:40، لكن ربما أنّ هذا الموضع يرجع إلى الزمن المديني).

تشير 57:28 بوضوح إلى قيمة بيت الكعبة، الذي وضعه الله للمكيين كحرم آمن، إنه يسمّى حرما آمناً و«سكناً»، والذي الثمار من كل صنف يؤتى بها لراحة المكيين، لكن راحة كهذه لا تستطيع الأوثان تقديمها، كما يعلّم إبراهيم قومه، وليس على هذا الأب [إبراهيم] سوى أن يحذر (29: 16 – 18). إذن، إن وظيفة أبراهيم هي وظيفة كلّ الرسل الذين بعثهم الله: وما على الرّسول إلا البلاغ المبين (الآية 18)، من الملاحظ أن قصّة إبراهيم تقطع في الآيات 19 – 22 حيث الإشارة إلى قدرة الخلق عند الله، لكن على المرء أن لا يصر، أن هذه الآية تحتل موقعاً خاطئاً؛ إنها مرجهة إلى إبراهيم، الذي يوجه اليه كلام الآية هنا[1]. بعدها تطالعنا الآية 24 التي تصف نجاة إبراهيم من النار. لكن ما يلفت النظر هنا هو كلمات الإدانة، التي يقولها إبراهيم لقومه، الذين ينأى بنفسه عنهم تماماً: «إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ» (الآية 25). وعن لوط يقال هناك:

---

[1] Nökldeke – Schwally I, S. 156.

«فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ» (الآية 26)، وهكذا يتم التأكيد على أهمية المؤمن برسالة إبراهيم، الذي يلعب دوره محمّد. في الآية 27 نجد أنّ ذرّيّة إبراهيم هي اسحق ويعقوب، اللذان اعطي لهما النبوّة والكتاب. أمّا الآيات 28 - 34 فتقدّم لنا قصّة لوط وتشفعه الذي لا طائل منه لسدوم. والكعبة يشار إليها أيضاً على أنها حرماً آمناً (الآية 67).

الآية 13:42 تأمر المكيين الايمان بما وصّى به الله نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد. في تلك الآونة كان محمّد يحب ان يختبر لنوح بين اليهود دوراً مشابهاً للدور الذي يلعبه إبراهيم في الإسلام. وهكذا يذكر هنا أسماء الرجال، واحد بجانب الآخر، والذين كان واحدهم سيحظى بوحي من نوعية متميزة. لكن الآية 14 تشير أيضاً إلى المعنى الخاص الكامل لتعبير ملّة إبراهيم، حيث أن كلمة من ربّك عن النزاعات بشأن المؤمنين الحقيقيين بين الناس كانت قد صدرت.

في نهاية الحقبة المكيّة الثالثة يقرّ إبراهيم، أن والده «في ضلال مبين»، حين يعبد الأوثان (74:6). وللحال يري الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض، كي يقويه في إيمانه (الآية 75). الآيات 76 – 79 تصف، كيف أدار إبراهيم، الذي يدرك أن النجوم والقمر والشمس لا بدّ أن تأفل، وجهه إلى عبدة الأوثان كحنيف وأقر بعبادة الله. هذا يتناسب مع وصف الآية 96 لله، الذي يفلق الصباح ويجعل الليل للراحة والشمس والقمر لحسابات الأزمنة. في جداله التالي مع قومه (الآيتان 80 – 81)، يبرز إبراهيم مع محمّد، الذي يشعر أنه مخلّص حقيقة: « أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا... ». تتحدث الآية 83 عن رفع إبراهيم درجات. أمّا بالنسبة إلى ذريّته فمرّة أخرى يذكر إسماعيل بين رسل لله آخرين (الآيات 84 – 86). وبحسب الآية 161، نجد اعترافاً صريحاً بالانتماء إلى ديانة إبراهيم: «قُلْ إِنَّنِي

هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا[1] مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. في نهاية هذه الآيات التي تتناول مسألة ملّة إبراهيم، يقول القرآن على لسان محمّد: وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الآية 163). مثل ذلك تقوله (الآية 14) أيضاً: إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ.

إنّ الربط المقام في الحقبة المكيّة بين إبراهيم و«البيت الحرام»، ينزاح ليصبح بؤرة الاهتمام في قصّة إبراهيم في الحقبة المدنيّة. واستخدامات عديدة للإسلام _ كان سيسمّى رحلة الحج والطواف حول الكعبة _ كانت أثناء ذلك قد نُظمت جيداً من قبل محمّد. لذلك لا نتفاجأ، حين نجد إبراهيم، المسلم الأوّل، يظهر كمؤسّس للكعبة بجانب إسماعيل. ومرّة أخرى يُسمّى حتماً إمام، بعد أنّ اختبره الله (124:2). لكن السلالة غير المؤمنة التي انحدرت من إبراهيم، الذين كان باستطاعة محمّد رؤية نزاعاتهم الدينيّة والذين كانت تؤذيه أحاديثهم الهجائيّة، كان يمكنهم هم أنفسهم عبر حديث تشفع أبيهم الأوّل أن لا ينالون بركة إمامته ولا ينالون عهد الله. وكان لابد أن يسمع إبراهيم على سؤاله المتعلق بما سيكون عليه المنحدرون منه، الكلمات الجوابيّة التالية: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (الآية 124)، مثلما كان لابد عليه أن يسمع حول رجائه: «اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»، الكلمات التالية: «وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (الآية 126). وللحال فالكعبة (البيت)، (الآية 125: مثابة للناس؛ قارن: المزمور 13:132) هي أيضاً عمليّاً، (مقام إبراهيم)، ويطلب من إبراهيم وإسماعيل _ يظهر الآن واحدهما بجانب

---

[1] دين قيم تعبير مسيحي. لكن قيّم تذكرنا بجمل مثل : **כתר של תורה שהוא חי וקיים לעלם** (نداريم 162) أو بتعابير مشابهة من الليتورجيا اليهوديّة، في حين أنّ التعبير السرياني المطابق لدين قيم هو: صريروطا د هيانوطا.

الآخر- (الآية 125): «طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ». أمّا الدعاء الذي يقوله إبراهيم وإسماعيل وهما يؤسّسان الكعبة فيبدو متميّزاً (الآيتان 128 – 129): «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ».

من زمن مديني[1] أكثر حداثة يطالعنا دعاء جديد، يتلفظ به إبراهيم، يقول (14: 35 – 41): « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ... وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ». (قارن: سفر الأعمال الأبوكريفي 15:24؛ 20:16).

إن إبراهيم، الذي بحسب (130:2)، ينتمي إلى المصطفين في الدنيا والأخرة، يؤمر مباشرة (الآية 131): « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». يماثل ما سبق، العهد الذي أخذه إبراهيم على أولاده[2]: «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ» (132:2). وفي إقرارهم بوجود الله، يتحدث أبناء يعقوب قبيل موته عن آبائه، حيث يظهر ثواً إسماعيل ضمن مجموعة الآباء الأوائل: « نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ» (الآية 133)، وكان هوروفيتس[3] قد أظهر، أنّ محمّداً هنا قصد بذلك هنا نص الصلوات الثمان عشر الشهيرة، ومن المناسب إتباع

[1] Nöldeke – Schwally I, S. 152.

[2] ووصّى بها إبراهيم بنيه تذكرنا بسفر التكوين 29:49، وهكذا فليس مصادفة على الأرجح، أن في الآية التي تعقب يرد اسم يعقوب، الأخير بعد بنيه الفعليين.

[3] Horovitz, K. U., S. 39.

هذه الآية بالآية التالية (الآية 134)، حيث نجد الإشارة إلى التعاليم اليهوديّة المتعلقة بفضيلة الأب (זכות אבות)، التي يهتم اليهود بالتوسل إليها، ومثلها أيضاً الآية 141 التي تحمل تشديداً أكثر على المسألة[1]. لا يمتلك اليهود سوى حق الإشارة إلى أعمالهم المحدّدة بهم. على المرء أن لا يقرّ لا بالديانة اليهوديّة ولا بالديانة المسيحيّة، بل «بديانة إبراهيم»: «وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (الآية 135). وللحال تقدم لنا صيغة الإيمان بملّة إبراهيم في الآية 136: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». وهكذا يظهر الآن الآباء الأوّلون، الذين يحصى إسماعيل ضمنهم، عبر مجموعة من رسل الله الآخرين، والذين لم يكونوا يهوداً ولا نصارى (قارن: الآية 140)، وبالتالي كانوا مسلمين. وكما محمّد مع مناوئيه، كذلك أيضاً فإن نمرود ذات يوم حاج إبراهيم في الله فطلب من الملك أن يؤتي بالشمس من المغرب (الآية 258). وتشير الآية 115 أنّ المشرق والمغرب لله (الآية 115). وهكذا فالسورة 2 غالباً ما تشير إلى أنّ الله يحيي الموتى (أنظر على سبيل المثال الآية 243؛ الآية 258). كذلك فبين أيدينا أيضاً الآية 260 التي تقصّ علينا حكاية الربط بين الأجزاء المقطعة لكائن حي، التي قصد من ورائها إبراهيم أن يظهر، كيف يعيد الله الموتى إلى الحياة من جديد.

تتحدث السورة 3 بوضوح عن أنّ الدين عند الله هو الإسلام (الآية 19). لذلك فهو أساساً ملّة إبراهيم بالذات، لذلك فمن السخافة بالنسبة

---

[1] كما في المسيحيّة أيضاً. انظر: متى 9:3؛ لوقا 8:3.

«لأهل الكتاب»، أن يتشاحنوا بشان إبراهيم، ما إذا كان يهودياً أو نصرانياً؛ فالتوراة والإنجيل لم يوحيا إلّا من بعده (الآية 65). من هنا فإبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، بل حنيف ومسلم. من بين كلّ الناس اصطفى الله آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران (الآية 33)، والآخرون، الذين اتبعوا إبراهيم، هم محمّد، الذي يسمّى هنا لمرّة واحدة فقط نبي، والذين آمنوا به (الآية 68). وبحسب الآية 95، يطلب القرآن من قوم محمّد، «اتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاً». وفي الديانة، التي ادعاها القرآن ذات مرّة، (الآية 84)، يذكر إسماعيل ضمن قائمة الآباء الأوّلين قبل إسحاق. إنّ «مقام إبراهيم» هو «أوّل بيت» وضع للناس ببكّة (مكّة)، والذي هو مبارك، وهدى للعالمين، (الآية 96)، والذي على كل مسلم الحج إليه إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

تورد السورة 26:57 كلاً من نوح وإبراهيم، واحدهما بجانب الآخر، على رأس رسل الله، الذين نجد منهم من هو مهتد ومن هو فاسق، وباستثناء عيسى لا يصادفنا اسم لأحد. موسى ليس مختاراً. فعلياً يحتل نوح، الذي تعزا إليه الوصايا النوحيّة، مكانة متميّزة ضمن مجموعة رسل الله القرآنيين، ثم يذكر بعد ذلك الرجال، الذين لم يقبل اليهود، بحسب القرآن، بديانتهم يوماً، إلّا أنّهم بحسب الرواية اليهوديّة والقرآنيّة، تبنوا في آخر الأمر التوراة، أي الوحي، الذي تلقاه موسى، لكن لا بدّ من الإشارة هنا، إلى أن رسالة *العبودا زارا* في التلمود، 3 أ، تقول إنّ اليهود، الذين لم يكونوا يرغبون القبول فوراً بالتوراة والذين لا بدّ أنّهم بالتالي أرغموا بها من قبل الله، ليس عليهم الالتزام بالوصايا النوحيّة أيضاً.

السورة 163:4 تورد اسم نوح على رأس قائمة الأنبياء، والذين هم جميعاً، مثل إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ورسل الله الآخرين كانوا سيحظون بالوحي.

تقول 7:33: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى...». وهنا نجد محمّداً، والذي تقول عنه الآية 40 من السورة ذاتها إنه «خاتم الأنبياء»، وقد وقف على رأس قائمة الأنبياء، الذين كان الله سيخصّهم بوحي خاص.

ويحسب 22: 26-29 تلقى إبراهيم عند تأسيس الكعبة تحريم عبادة الأوثان ووصيّة، أنّ يتطهّر البيت الحرام للمصلين وأن يلتزم الناس أن يحجوا ويؤدّوا الطقوس هناك. والأسلوب هنا يذكرنا بنوع الوصايا العشر الموحاة من الله، التي يبدو أنه كان معروفاً في تلك الآونة.

تضرب 10:66 مثلاً رادعاً عن الخطأة زوجة لوط الكافرة بجانب زوجة نوح الكافرة أيضاً. السورة تتناول أيضاً (الآيتان 1 – 3) زوجات النبي العربي.

تظهر 4:60 كم كان محمّد قاسياً في سلوكه الرافض ليهوديّة، بحسب رأيه، كانت ضالة السبيل للغاية. وبحسب هذا الموضع يقول إبراهيم والذين معه، والذين لا بدّ أنّهم كانوا في مثل موقف محمّد، لقومهم: «إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ». أمّا الآية الثالثة من السورة ذاتها، فتتحدّث عن الموقف الذي يجب أن يأخذه المسلم المؤمن من أقاربه الكفار: «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل (الله) بينكم... ». هذا الانفصال عن والده، الذي يأخذه إبراهيم طيلة حياته، يترافق بكلمات مليئة بالكراهية. وهكذا ليس هنالك من معنى بالنسبة لمن هو مؤمن معتنق للإسلام، كما فعل إبراهيم لوالده، أن يصلي له؛ فالله لا يقبل مثل تلك الصلاة أبداً. لذلك في نهاية الأمر يبحث محمّد بحسب رأيه عن إعادة تفسير لصلاة إبراهيم غير المسوغة

وبالتالي يمكن إيجاد أساس، لمقولة ان إبراهيم أعطى وعداً بشان والده وبالتالي صلّى له. وبناءً على رغبته يسمّي إبراهيم «أواهاً» و«رحيماً». لكنه قال، حالما أدرك، أنّ والده كان عدواً لله، إنه بريء منه تماماً (114:9).

((1)): إني بريء مما تشركون. إن كلمة بريء ترد في القرآن الكريم على نحو شبه دائم بمعنى «نقيّ من عبادة الأوثان». هذا ما نجده في قصّة هود (54:11)، في وصف الشيطان، الذي يغوي الانسان على الكفر (16:59)، وعند محمّد، الذي نأى بنفسه عن عبادة الأوثان التي كان يمتريها قومه (3:9؛ 41:11؛ 35:11؛ 216:27).

((3)) بحسب زوهار، جزء بيراشيت، يصل إبراهيم إلى معرفة الله عبر الشمس المشرقة. وهذا من إشعياء 2:41، حيث يبدو أنّ المقصود في هذا الموضع هو إبراهيم.

Bibliography

Barker, Kenneth L. 1986. "The Antiquity And Historicity of The Patriarchal Narratives," Walter C. Kaiser & Ronald F. Youngblood, eds. A Tribute To Gleason Archer. Chicago, Moody Press.

Bimson, J.J. 1980. "Archaeological Data And The Dating Of The Patriarchs," A.R Millard.&

D.J.Wiseman, eds. Essays On The Patriarchal Narratives. Leicester: IVP.

Blaiklock, E.M. 1983. "Camel," E.M. Blaiklock & R.K. Harrison, eds. The New International Dictionary of Biblical Archaeology.

Grand Rapids: Zondervan.

Bright, John 1980. A History of Israel. 3rd edn. London: SCM.

Bush, F.W. 1986. "Patriarchs," G.W. Bromiley, Gen. Ed. International Standard Bible Encyclopedia, Vol. 3. Grand Rapids: Eerdmans: 690-695.

Carpenter, E.E. 1988. "Tithe," G.W. Bromiley, gen.ed. International Standard Bible Encyclopedia, Vol. 4. Grand Rapids: Eerdmans.

Davis, John J. 1986. "The Camel In Biblical Narratives," Walter C. Kaiser & Ronald F. Youngblood, eds. A Tribute To Gleason Archer. Chicago, Moody Press.

Day, A.E. & R.K Harrison 1979. "Camel," G.W.

Bromiley, Gen. Ed. International Standard Bible Encyclopedia, revised, Vol. 1. Grand Rapids: Eerdmans: 583-584.

Harrison, R.K. 1970. An Introduction To The Old Testament. Tyndale Press: London.

Hayes, J.H. & J.M. 1986. Miller, A History Of Israel & Judah. London, SCM.

Kitchen, Kenneth A. 1973. "The Philistines," D.J. Wiseman, ed. Peoples Of Old Testament Times. Oxford: Clarendon Press.

LaSor, W.S. 1986. "Philistines, Philistia," G..W. Bromiley, Gen. Ed. International Standard Bible Encyclopedia, revised, Vol. 3. Grand Rapids: Eerdmans: 841-846.

Millard, Alan R. 1980. "Methods Of Studying The Patriarchal Narratives As Ancient Texts," A.R Millard.& D.J.Wiseman, eds. Essays On The Patriarchal Narratives. Leicester: IVP.

Millard, Alan R. 1992. "Abraham," David Noel Freedman, ed., The Anchor Bible Dictionary, Vol. 1. New York: Doubleday: 35-41.

Pfeiffer, Charles F. 1964. The Patriarchal Age. Grand Rapids: Baker Book House.

Pritchard, J.B. ed. 1969. Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, 3rd edn. Princeton, New Jersey: Princeton Univserity Press.

Rowley, H.H. 1967. Worship In Ancient Israel; Its Forms And Meaning. London, SPCK.

Seters, John van 1975. Abraham In History And Tradition. New Haven: Yale University Press.

Selman, M.J. 1980. "Comparative Customs and the Patriarchal Age," Millard, A.R.& Wiseman, D.J., eds. Essays On The Patriarchal Narratives., Leicester: IVP: 93-138.

Stieglitz, Robert R. 1982. "Philstines In The Patriarchal Age," Biblical Archaeology Review, Vol. 8, No. 4.: 28.

Wenham, Gordon J. 1987. "Genesis 1-15," Word Biblical Commentary, Vol. 1. Waco, Texas: Word Books.

Wenham, Gordon J. 1980. "The Religion of The Patriarchs," A.R. Millard, & D.J. Wiseman, eds. Essays On The Patriarchal Narratives. Leicester: IVP.

Wiseman, D.J. 1979. "Archaeology & The Old Testament," F.E. Gaebelein, gen.ed. Expositor's Bible Commentary, Vol. 1. Grand Rapids: Zondervan.

Wright, G. Ernest 1962. Biblical Archaeology. Philedelphia: Westminster.

Yamauchi, Edwin 1973. The Stones And The Scriptures. London: IVP.

Youngblood, Ronald Covenant: Conditional or Unconditional?" Morris Inch & Ronald Youngblood, eds. The Living and Active Word of God. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns: 31-46.



الدار الليبرالية

برلين

موسوعة
الدين المقارن



د. نبيل فياض

باحث سوري معتمد عالمياً كمتخصص في الدراسات النقدية الدينية وفي الدين المقارن.
ولد في حمص لأسرة تنتمي إرثيا للإسلام السني الشافعي .
دخل نبيل فياض المدرسة الابتدائية الإنجيلية الدانمركية في القريتين وكان في الرابعة والنصف من العمر. ثم انتقلت العائلة إلى حمص ليكمل تعليمه الإعدادي في مدرسة خالد بن الوليد. ثم يكمل الثانوي في ثانوية عبد الحميد الزهراوي.
بعد أن نال شهادة التعليم الثانوي، انتقل إلى مصر ليدرس اللغات. ثم عاد بعد ثلاث سنوات لأسباب قاهرة.
أعاد دراسة الثانوية العامة وهو يشتغل في مؤسسة الطرق. وبعد نجاح باهر فيها، اختار أن يدرس الصيدلة دون الطب - كما رغبت العائلة - في جامعة دمشق. ثم أكمل بعدها دراسة في التصنيع الدوائي قبل أن تأتيه منحة من لبنان لدراسة اللاهوت ليكمل في الكسليك حيث علّم هناك في جامعتها لسنوات.
في بداية الثمانينات نشر أول كتبه، التحوّل؛ وكان دراسة حول كافكا. ثم نقلت التحوّل إلى المسرح.
صدر كتابه الثاني بعد الأول بشهور، وكان ترجمة لرسالة عبدة الأوثان من التلمود البابلي.
كان كتابه الثالث، حوارات في قضايا المرأة والتراث والحرية، تعقيباً على كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، هذه مشكلاتهم: الذي أصدر الشيخ الشهير تعقيباً على ما طرحه عليه نبيل فياض من أسئلة نشرها مع أجوبتها في صحيفة "الديار اللبنانية".
أعاد البوطي الكرّة في هذه مشكلاتنا. فكان أن أصدر نبيل فياض كتابه، يوم انحدر الجمل من السقيفة.
شارك كثيرون بهذا الجدل العلماني- الأصولي، وكان منهم رئيس الجماعة الأحمدية في سوريا وقتها، نذير المرادني، والباحث حامد حسن، والأستاذ سهيل الجابي. هذا غير عملين أكاديميين للباحثين الألمانيين، أندرياس كريستمان وإيكارت فورتز.
صدرت له عدة كتب في البداية:
قضايا حول المرأة والحرية والتراث،يوم انحدر الجمل من السقيفة،عائشة أم المؤمنين تأكل أولادها،مراثي اللات والعزى،النصارى،رسالة عبدة الأوثان،عزرا باوند الشاعر المرتد
كتاب مهم عن صلاح الدين مع حسن الأمين
يجيد سبعة لغات منها (الانكليزية، العبرية، الالمانية، الفرنسية، اللاتينية) عمل استاذا محاضرا في في العديد من الجامعات العالمية في امريكا والمانيا وغيرها. رشح لجائزة الشيخ زايد للترجمة كافضل كتاب مترجم عن الالمانية وذلك عن كتاب مشترك مع الأستاذ جورج برشيني وهو جوهر المسيحية_لودفيج فويرباخ صادر عن دار الرافدين . كما اشتهر في الوسط الثقافي داخل العالم العربي والغربي بكونه أفضل مترجم عن الالمانية . واجادته للانكليزية حتى افضل من لغته العربية.
قدم العديد من الدراسات البحثية العلمية في مجال الطب والصيدلة مع زملاء له في امريكا، وبقي عمله يتردد بين التأليف والترجمة والمجال الصيدلة (والتصنيع الدوائي).
انتقل نبيل فياض بعدها إلى إكمال مشروعه المسمى: الدين المقارن؛ والذي أراد منه تبيان حقيقة الترابط العضوي بين أديان منطقة الشرق الأوسط. واليوم نكمل هذا المشروع في موسوعة الدين المقارن التي ستصدر تباعاً في أكثر من ١٥جزء.
له اليوم أكثر من ٧٠كتاب مطبوع بين تأليف وترجمة..



